روائع القصص العالمية

مصرع اللورد



مَصْرَعُ الْوَرْدِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

1427 هـ ـ 2006م



دار الشرق العربي

للطباعة والنشر والتوزيع

الرقم الدولي : ISBN 9953- 61-137-8

الموضوع : أدب

العنوان : مصرع اللورد

المؤلف : أجاثا كريستي

الصفحات : 160 صفحة



لبنان ـ بيروت ـ ص. ب : 11/6918 الرمز البريدي 11072230

تلفاكس : 01 791668

سورية ـ حلب ـ ص. ب : 415 هاتف : 2213441 / 2213773

فاكس : 2225966

WWW. afach.aleppodir. com email: afashco1@ scs-net. org

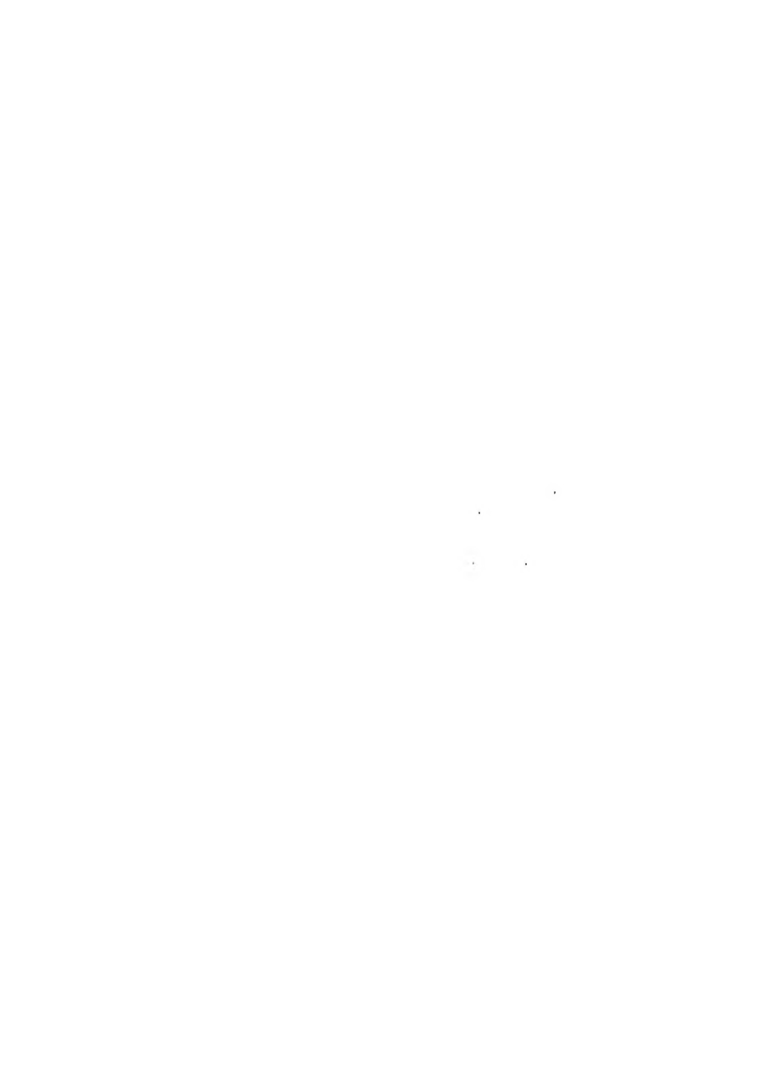


أجاثا كريستي



دار الشرق العربي

لبنان - بيروت - ص.ب: 11/6918
سورية - حلب - ص.ب: 415



أجاثا كريستي

بقلم أجاثا كريستي

ولدت في مقاطعة ديفونشير، وقضيت طفولة سعيدة إلى أقصى درجات السعادة، تكاد تكون خلواً من أعباء الدروس والاستذكار، فانفسح لي الوقت لكي أتجول في حديقة بيتنا الواسعة وأسبح مع الخيال ما شاء لي الهوى.

وإلى والدتي يرجع الفضل في اتجاهي إلى الكتابة والتأليف، فقد كانت سيدة ذات فتنة، ساحرة الشخصية، قوية التأثير، وكانت تعتقد اعتقاداً راسخاً أن أطفالها قادرون على كل شيء..! ففي ذات يوم ـ وقد أصبت ببرد ألزمني الفراش ـ قالت لي :

ـ خير لك أن تقطعي الوقت بكتابة قصة قصيرة وأنت في فراشك.

ـ ولكنني لا أعرف.

ـ لا تقولي لا أعرف، فإنك «طبعاً» تعرفين.. حاولي فقط وسترين!

وحاولت ووجدت متعة في المحاولة. فقضيت السنوات القليلة التالية أكتب قصصاً قابضة للصدر، يموت معظم أبطالها، كما كتبت مقطوعات من الشعر، ورواية طويلة احتشد فيها عدد هائل من الشخصيات بحيث كانوا يختلطون ويختفون لشدة الزحام!

ثم خطر لي أن أكتب رواية بوليسية، ففعلت واشتد بي الطرب حينما قبلت الرواية ونشرت..

وكنت حين كتبتها متطوعة في مستشفى تابع للصليب الأحمر إبان الحرب العالمية الأولى.

وإذا سألتموني عن ميولي فاعلموا أني أحب الأكل، وأكره طعم كل شراب يدخل في صناعته الكحول، وأنني حاولت التدخين مراراً فلم أجد ما يغريني

بالمداومة عليه. ولكني أعبد الأزهار، وأهيم بالبحر، وأحب المسرح ، وأكره الأفلام الناطقة، ويعجز تفكيري عن متابعتها، وأكره الإذاعة وكل ما يحدث ضجة وضوضاء ، وأكره حياة المدن.

وهوايتي، السفر لاسيما إلى بلدان الشرق الأدنى لأنني أحب الصحراء حباً جماً.

وقد ولدت أجاثا كريستي عام **1894** من أب أمريكي، وأم إنجليزية، وآثرت أن تظل إنجليزية الجنسية والوطن. وتعد أجاثا اليوم واحدة من أشهر الروائيين الذين يكتبون الروايات البوليسية في العالم، وقد تزوجت عام **1914** بالسيد كريستي الذي انخرط في سلك الجيش، وأصبح ضابطاً برتبة ماجور، ثم طلقت منه، وتزوجت من بعده من عالم أثري يدعى ماكس مالون، ولكنها ظلت في كتاباتها محتفظة باسم زوجها الأول الذي عرفت به في أول عهدها بالشهرة.

وقد ابتكرت أجاثا شخصيات بوليسية شبيهة بشارلوك هولمز الذي ابتكره السير آرثر كونان دويل في رواياته الشهيرة.

وشخصيات أجاثا البوليسية هي «هيركيول بوارو» و «كولونيل بريس» و«الآنسة جين ماربل».

وقد نقلت روايات أجاثا كريستي إلى كثير من اللغات، من بينها الروسية والصينية واليابانية ومن بينها اللغة العربية، وظهر بعضها في السينما.

وقد زارت المؤلفة الجمهورية العربية المتحدة في العام **1964** وطافت بين آثارها العربية والمصرية القديمة، وأعجبت بها كل الإعجاب.



شخصيات الرواية

الكابتن هاستنج	Captain Hasting	الراوي . . وصديق هيركيول بوار
هيركيول بوارو	Hercul Poiro	المخبر السري الخاص
لورد ادجوير	Lard Edgware	أحد كبار الشخصيات في المجتمع الإنجليزي
ليدي ادجوير	Lady Edguware	زوجة اللورد، وهي نفسها جين ويلكنسون
الكابتن روناد مارش	Captain RolandMarsh	ابن أخي اللورد ادجوير
الآنسة جير الدين	Miss Geraldine	ابنة اللورد ادجوير
الآنسة كارول	Miss Carrol	سكرتيرة اللورد ادجوير
الدوق ميرتون	Duke Merton	نبيل إنجليزي شاب
الدوقة ميرتون	Duchess Merton	والدة الدوق ميرتون
السيد بريان مارتن	Mr Brian Martin	ممثل إنجليزي معروف
دونالد روس	Donald Ross	ممثل إنجليزي مغمور
شارلوت آدامز	Charlotte Adams	ممثلة أمريكية شابة
المفتش جاب	Insp Jabb	مفتش باسكتلاند يارد
الآنسة الليس	Miss Ellis	وصيفة الليدي ادجوير



الفصل الأول

الأداء المسرحي

إنني كثيراً ما أذكر ذلك اليوم الذي جلست فيه مع صديقي (بوارو) في غرفة الاستقبال الصغيرة الأنيقة بمنزله، نتبادل الحديث عن مصرع اللورد «أدجوير» - أو على الأصح - «جورج ألفريد سانت فنسنت مارش» سيد مقاطعة أدجوير..

ولكن.. ينبغي أن أتناول هذا الحادث من البداية.. منذ تلك الليلة من ليالي شهر حزيران في العام الماضي وفي مسرح لندن بالذات..

كانت الممثلة الأمريكية «شارلوت آدامز» تثير ضجة إعجاب في ذلك الحين، وكانت في العام السابق قد نالت نجاحاً باهراً في عرضها المسرحي الذي قدمته على مسرح لندن يومذاك. ثم عادت في هذا العام لتمضي ثلاثة أسابيع، وكانت تلك الليلة التي أتحدث عنها، هي الليلة قبل الأخيرة في هذه الأسابيع الثلاثة..

والواقع أن «شارلوت آدامز» كانت موهوبة إلى درجة مذهلة في أداء الأدوار المفردة الخالية من المناظر المسرحية وغيرها.. وكان يبدو لنا أنها تعرف كل لغات العالم الحية، وهي تقوم في تلك الليلة بدورها العجيب الذي مثلت فيه شخصية مديرة فندق يستقبل النزلاء من أمريكيين، وفرنسيين، وهولنديين، وألمان، وروسيين، من كل طبقة، ومن كل مهنة وبيئة..

وكانت تختتم برنامجها بـ «نمرة» مسرحية طالما أثارت الشيء الكثير من الإعجاب والضحك، وهي «النمرة» المعروفة باسم «تقليد الممثلين».

وهنا كانت «شارلوت» تبلغ الذروة في روعة الأداء، وهي تركز مواهبها في تصميم الحركات التي اعتاد الممثلون والممثلات الكبار أن يقوموا بها أثناء أدائهم المسرحي. وكانت قدرتها على تقليد الأصوات وطريقة المشي تبلغ حد الإعجاز الفني..

وفي تلك الليلة، كانت الشخصية الأخيرة التي قامت بتقليدها، هي شخصية الممثلة المعروفة «جين ويلكنسون». . وكانت هذه أيضاً ممثلة أمريكية جميلة واسعة الشهرة في انجلترا. وقد كنت أنا من أشد المعجبين بالممثلة «جين» ولا سيما بصوتها الجميل الذي لا يخلو من «بحة» خفيفة مثيرة. . ولهذا فوجئت بـ «شارلوت آدامز» وهي تقلد «جين ويلكنسون» تقليداً جعلني أحملق في وجهها وهي على المسرح، لا تأكد من أن هذه التي أراها أمامي هي «شارلوت آدمز» وليست «جين ويلكنسون»!

وكانت «جين ويلكنسون» قد هجرت عملها على المسرح عند زواجها، ثم عادت إليه بعد عامين، فقد تزوجت منذ ثلاث سنوات رجلاً واسع الثراء ـ غريب الأطوار إلى حد ما ـ يدعى اللورد «أدجوير». . وما هي غير فترة وجيزة حتى شاع أنها هجرته. . وأيا كان الأمر، فإنها بعد نحو عام من زواجها، عادت للظهور في بعض الأفلام الأمريكية، ثم جاءت إلى لندن لتقوم بالدور الأول في إحدى المسرحيات المعروفة.

وفيما أنا أشاهد تقليد «شارلوت» لهذه الممثلة الكبيرة، فكرت فيما يمكن أن يكون عليه شعور هذه الأخيرة لو أنها رأت صورة طبق الأصل من شخصيتها تتحرك على المسرح بأسلوب يثير الضحك والإعجاب!

وقررت في نفسي أنني لابد أن أشعر بالاستياء لو حاول أحد أن يقلدني على هذا النحو المضحك. . إلا أنه أن ينبغي على الإنسان ـ عادة وفي مثل هذه الظروف ـ أن يخفي استياءه، وأن يتظاهر أمام الجمهور بأنه فنان واسع الأفق، رحب الصدر!

وما كدت أصل إلى هذا القرار حتى فوجئت بضحكة «جين ويلكنسون» نفسها تتردد ورائي مباشرة، ثم بصوتها وهي تقول:

ـ مدهش. . مدهش!

والتفت ورائي بسرعة، فرأيت «جين ويلكنسون» ـ أو الليدي «أدجوير» ـ تضحك وتصفق إعجاباً، ثم تستدير بوجهها إلى مرافقها الذي عرفته فوراً، إذ كان الممثل المعروف « بريان مارتن». . وكان هذا الممثل مشهوراً بأنه يشبه في جماله آلهة الإغريق!

وعادت الليدي «أدجوير» تقول:

ـ مدهشة؟ . . أليس كذلك؟

ـ «جين» . . إنك شديدة الانفعال كما يبدو!

ـ الواقع إنها مذهلة يا «بريان». . لم أكن أتصور أنها قادرة على تقليدي في كل شيء بمثل هذه البراعة. .

وكانت «شارلوت» في تلك اللحظة قد بدأت في القيام بدور مسرحي آخر، فلم أسمع ما قاله «بريان مارتن» رداً على «جين». . ولكن الذي حدث بعد ذلك، كان في رأيي مجرد مصادفة عجيبة. .

فبعد أن غادرت المسرح مع (بوارو) ذهبنا لتناول العشاء في مطعم سافوي. .

وعلى المائدة المجاورة، مباشرة، رأيت الليدي «أدجوير» والممثل «بريان مارتن» واثنين لا أعرفهما ـ رجلاً وامرأة ـ وفيما كنت أذكر هذا لـ (بوارو) رأيت «شارلوت آدامز» وبرفقتها رجل آخر ـ لا أعرفه ـ يجلسان إلى المائدة المجاورة ـ من الناحية الأخرى، لمائدة الليدي «أدجوير». .

وكانت «شارلوت» ترتدي ثوب سهرة أسود رائعاً، إلا أن وجهها ـ كما بدا ـ لم يكن من الوجوه التي تستلفت النظر بالجمال الباهر، مثل وجه الليدي «أدجوير» مثلاً. . وإنما كان وجهها عادياً لا يخلو من الجمال على نحو ما. .

وفيما أنا أتبادل الحديث همساً مع (بوارو) عن مشاهداتي، أخذ هو يرهف السمع إلى ما يدور من أحاديث على المائدة المجاورة، ثم يقول :

ـ آه. . إذن فهذه هي الليدي «أدجوير». . نعم إنني أتذكرها. . الواقع إنها ممثلة باهرة الجمال. .

ـ وموهوبة أيضاً. .

ـ ربما. . ولكنني أعتقد أنها موهوبة في تمثيل الأدوار الرئيسة فقط. . أعني أنها ـ كما يبدو لي ـ تحب أن تكون محور كل شيء في التمثيل المسرحي. . وهذا بدوره يعرضها للخطر. .

ـ الخطر؟! . .

ـ نعم. . إن المرأة التي تحب أن تكون محور كل شيء، تغفل عادة عن الأخطار

التي تهددها!

ـ وما رأيك في الأخرى؟ . . في «شارلوت آدامز»؟

فتحولت نظراته إليها ثم قال باسماً :

ـ ماذا تريد مني أن أقول عنها؟ . .

ـ هل هي أيضاً معرضة للأخطار؟ . .

فقال (بوارو) جاداً :

ـ وهل هناك إنسان يعيش في هذه الدنيا دون أن يتعرض للأخطار . . إن سوء الحظ ـ كما يبدو لي ـ يتربص للمرء دائماً، ثم يتحين أول فرصة سانحة لكي ينقض عليه!

وفيما يتعلق بالآنسة «شارلوت آدامز» فإنه يبدو لي أنها أكثر عرضة للنحس. . ألا ترى معي أنها يهودية؟!

ولما عدت أتأملها، رأيت السمات اليهودية واضحة عليها. . فأومأت برأسي، بينما عاد (بوارو) يقول :

ـ والمعروف أن الحياة تضحك حيناً لليهود لكي تغدر بهم في النهاية دائماً. . والسبب في هذا معروف!

ـ إني لا أعرفه! . .

ـ إنه حب المال يا عزيزي «هاستنج». . والإسراف في حب المال هو الفرصة التي تتيح للنحس لكي ينقض على الإنسان في النهاية!

وقبل أن أرد عليه، لاحظت أن الليدي «أدجوير» تحملق في وجه (بوارو) ولا تكاد ترفع نظراتها عنه. . ولما ذكرت له هذا، قال باسماً :

ـ لا شك أنها عرفت من أنا! . .

وابتسمت قائلاً :

ـ أعتقد أن شاربك الرائع المشهور هو الذي لفت نظرها. . !

فتحسس (بوارو) شاربه في إعجاب، وفجأة هتفت قائلاً بصوت هامس :

ـ يا للسماء! إن الليدي تنهض. . يبدو لي أنها آتية إلينا. . إن «بريان» يحاول منعها، ولكنها لا تصغي إليه. .

ولم تلبث «جين ويلكنسون» ـ أو الليدي «أدجوير» ـ أن أقبلت علينا برشاقتها، فوقفنا لاستقبالها. . بينما قالت هي بصوتها العذب الحاني :

ـ السيد (بوارو)؟. . أليس كذلك ؟! . .

ـ تحت أمرك يا سيدتي. .

ـ أريد أن أتحدث إليك يا سيد (بوارو).

ـ يشرفني هذا يا سيدي. . تفضلي بالجلوس. .

ـ لا . . لا . . ليس هنا. . أريد أن أتحدث معك على انفراد. . هل يمكن أن تصعد معي إلى جناحي الخاص؟

وكان الممثل «بريان مارتن» قد لحق بها عندئذ. . ومن ثم قال وهو يحاول أن يضحك :

ـ انتظري قليلاً يا «جين» حتى نفرغ على الأقل من تناول العشاء. .

فقالت «جين» ببساطة وإصرار :

ـ لا. . لا. . يمكننا أن نستكمل عشاءنا مع السيد (بوارو) في جناحي الخاص. . أليس كذلك؟

ولكن «بريان مارتن» أبى أن يوافقها. . فاستدار ليعود إلى المائدة، ولحقت هي به، وراحت تحاول إقناعه. . وكانت ترسل بين الحين والآخر نظرة إلى «شارلوت آدامز». . وأخيراً نجحت في إقناعه، فعادت إلينا بوجه مشرق، وقالت وهي تبتسم لـ (بوارو) ولي في وقت واحد :

ـ يمكننا أن نصعد الآن. .

ويبدو أنها لم تفكر لحظة فيما إذا كان هذا يرضينا أم لا، ومن ثم مضت في طريقها إلى باب المصعد، وهي تستطرد قائلة لـ (بوارو) :

إن حسن الطالع هو الذي جعلني أراك هذه الليلة يا سيد (بوارو). . وإنه لشيء مدهش أن يتحقق للإنسان أمل كان يراوده منذ لحظة. . لقد كنت أفكر في طريقة للخلاص من محنتي، وإذا بي أراك أمامي. .وعندئذ قلت لنفسي : إن السيد (بوارو) هو الشخص الوحيد الذي يمكن أن يساعدني. .

ثم قطعت حديثها لتقول لعامل المصعد :

ـ الدور الثاني . .

وقال (بوارو) :

ـ إنني أتمنى أن أقدم لك أية مساعدة يا سيدتي . .

ـ أنا واثقة من هذا . . فقد سمعت أنك رجل مدهش. وأنا في حاجة شديدة على رجل مثلك لينقذني من المحنة التي أعانيها في الوقت الحاضر . .

ولما بلغنا غرفة الاستقبال في جناحها الخاص، ألقت عن كتفيها بفراء الثعلب الفضي الثمين، وقالت بكل بساطة :

إنني أريد يا سيد (بوارو) أن أتخلص من زوجي بأي ثمن!



الفصل الثاني

حفلة عشاء

تمالك (بوارو) نفسه بعد لحظة اندهاش، ثم قال:

ـ ولكن الخلاص من الأزواج يا سيدتي ليس من مهمتي.. !

ـ طبعاً.. طبعاً.. إنني أعرف هذا..

ـ إنك في حاجة إلى محام...

ـ لا.. لا.. لقد سئمت المحامين بعد أن جربت كل نوع منهم.. الصالح والطالح على السواء، ولكن بدون جدوى.. إن المحامين لا يعرفون شيئاً غير القانون. والقانون في حالتي لا يجدي..

ـ هل يعني هذا أنني لا أتردد في العمل ضد القانون؟!

فضحكت قائلة:

ـ لا.. لا يا سيد (بوارو).. إنني أعني أنك أذكى من الذين وضعوا القوانين الجامدة التي لا تتفق أحياناً مع المصالح الفردية المشروعة..

ـ حسناً.. حسناً.. ماذا تريدين مني أن أفعل..؟

ـ أريد منك ببساطة أن تساعدني في الخلاص من زوجي بأية وسيلة، وأنا واثقة أن هذا في مقدورك.. !

ـ وهنا قالت الليدي «أدجوير» بسرعة وحزم:

ـ إن السبب بسيط جداً، وهو أنني أريد أن أتزوج مرة أخرى. !

ـ حسناً.. في هذه الحالة يكون الطلاق هو الطريق الوحيد.. !

ـ أنك لا تعرف زوجي يا سيد (بوارو).. إنه.. إنه..

وسرت في جسدها رعدة خفيفة قبل أن تستطرد قائلة:

ـ إنني لا أعرف كيف أشرح لك الأمر.. إنه رجل غريب الأطوار.. ليس

كغيره من الناس!

وتوقفت عن الحديث مرة أخرى قبل أن تردف قائلة :

ـ إنه آخر رجل في الدنيا يصلح أن يكون زوجاً . . وأنا واثقة مما أقول. لقد هربت منه زوجته الأولى كما يعرف الناس جميعاً، تاركة له ابنتها الطفلة التي لم تكن تتجاوز الشهر الثالث من عمرها . . ورفض هو أن يمنحها الطلاق بأي ثمن، وأخيراً ماتت بائسة في مكان ما خارج البلاد. ثم تزوجني . . حسناً . . ولم أستطع أن أصمد في حياتي معه أكثر من عام . لقد تملكني الخوف من تصرفاته الشاذة، فهربت منه إلى أمريكا. وليس لدي الآن الأسباب التي تتيح لي حق طلب الطلاق منه. ولو أنني أتحت له هذه الأسباب، فإنه لن يأخذ بها حتى لا يحررني من القيد . . إنه نصف مجنون . . !

فقال (بوارو) :

ـ إن في بعض الولايات والجمهوريات الأمريكية قوانين تسمح لك بالطلاق منه رغماً عنه . .

ـ نعم نعم . . أنوي الإقامة في انجلترا . . وانجلترا كما تعرف لن تعترف بمثل هذا النوع من الطلاق.

فأومأ (بوارو) برأسه وقال :

ـ ومن هو الرجل الذي تريدين الزواج به؟

ـ إنه الدوق ميرتون» . .

وبذلت جهدي حتى لا تند عن شفتي صيحة اندهاش . . ذلك أني كنت أعلم أن الدوق «ميرتون» الشاب كان أمنية كل فتاة تريد الزواج في المجتمع الراقي. ولكن أمه الدوقة كانت تقف دون تحقيق هذه الأمنية . . أما هو، فكان كل اهتمامه ينحصر في جمع التحف الصينية الثمينة، وقد عرف عنه أنه لا يهتم كثيراً بالنساء . .

وعادت «جين» تقول بصوت ينم عن العاطفة الحارة :

ـ إنني مجنونة به يا سيد (بوارو) . . وأعتقد أنه يختلف عن جميع الرجال الذين عرفتهم في حياتي، كما أن قصر آل «ميرتون» من القصور التي تضاهي أفخر القصور الملكية في العصور الوسطى . . ولا يفوتنا أيضاً أنه وسيم يتمتع بجمال حالم

يثير النشوة في قلب أية أمرأة . .

وتوقفت عن الحديث برهة قبل أن تستطرد قائلة :

ـ ولسوف أهجر التمثيل بعد أن يتم زواجي به . .

وهنا قال (بوارو) :

ـ وبعد أن تتخلصي من قيود زواجك باللورد «أدجوير» .

فقالت بصوت حالم :

ـ نعم . . أن هذه هي محنتي التي تزعج حياتي . ولو كنت في شيكاغو لأطلقت عليه أحد المجرمين القتلة . . ولكن يبدو أن هذا متعذر في انجلترا . .

فابتسم (بوارو) وقال :

ـ إننا في انجلترا نعتقد أن لكل إنسان الحق في أن يعيش . .

ـ ربما . . ولكنني أرى أن بعض السياسيين أحق بالموت منهم بالحياة . وكذلك الأمر مع «أدجوير» فإنه من المخلوقات التي لا حق لها في الحياة .

وفي تلك اللحظة ، سمعنا طرقاً على الباب ، ثم دخل النادل يحمل صحاف العشاء . ولكن «جين ويلكنسون» استمرت في حديثها دون مبالاة ، فقالت :

ـ ولكنني لا أريد منك أن تقتله من أجلي على كل حال يا سيد (بوارو) . . .

ـ شكراً لك يا سيدتي . .

ـ وأعتقد أن في مقدورك أن تقنعه بوسائلك البارعة . . أريد منك أن تغريه بالموافقة على الطلاق ، وأنا واثقة بأن هذا في مقدورك .

ـ أخشى يا سيدتي أن تكوني قد أسرفت في الثقة بمواهبي في القدرة على الإقناع . .

ـ إن في استطاعتك بالتأكيد أن تفعل شيئاً ما سيد (بوارو) . .

ثم مالت نحوه ، وأردفت قائلة بصوتها الدافىء المثير :

ـ إنك تحب أن أعيش سعيدة . . أليس كذلك؟

فقال (بوارو) بحذر :

ـ إنني أتمنى أن يعيش كل إنسان سعيداً . .

ـ نعم . . نعم . . ولكنني لا أفكر الآن في كل إنسان ، دائماً أفكر في نفسي . . ؟

ـ يبدو لي يا سيدتي أن هذا ما تفعلينه دائماً . .

ـ أترى أنني . . أنانية؟!

ـ إنني لم أقل هذا يا سيدتي . .

ـ حسناً! . . أستطيع أن أقول أن هذه هي الحقيقة فعلاً . و لا عيب في هذا . . فإني أكره أن أشعر بالشقاء ، لأن هذا الشعور يؤثر على مواهبي التمثيلية . . ولسوف أظل شقية حتى يوافق على الطلاق أو يموت!

وبعد برهة في التفكير ، استطردت تقول :

ـ وأنا أتمنى أن يموت . . لأنني سأشعر في هذه الحالة بالخلاص نهائياً من قبضته .

ورنت إلى (بوارو) التماساً لعطفه ، ثم أردفت قائلة وهي تنهض وتتناول فراءها الفاخر ، وتحملق في وجهه برجاء :

ـ لسوف تساعدني يا سيد (بوارو) . . . أليس كذلك؟

وسمعت أصوات أشخاص قادمين في الممر الخارجي ، وكان الباب موارباً . . أما «جين» فقد أردفت قائلة :

ـ وإذا رفضت مساعدتي . .

فضحك (بوارو) وقال :

ـ ماذا سيحدث!؟

ـ سأستقل سيارة مأجورة ، وأمضي فوراً إلى «أدجوير» لأقتله .

وأرسلت ضحكة خفيفة ، واختفت في الغرفة المجاورة في نفس الوقت الذي أقبل فيه «بريان مارتن» مع الممثلة «شارلوت آدامز» ومرافقها والاثنان الآخران اللذان كانا يجلسان إلى مائدة «جين ويلكنسون» وقد قدما إليّ على أنهما السيد والآنسة «ويد بيرن» . .

وقال «بريان» بخفة :

ـ هه؟ . . أين «جين» . . أريد أن أخبرها إنني وفقت في المهمة التي كلفتني بها . .

وظهرت «جين» بالباب ، وفي يدها إصبع أحمر شفاه ، وقالت :

ـ هل ظفرت بها؟ . . مدهش جداً . . أنني شديدة الإعجاب بمواهبك التمثيلية يا

آنسة «آدامز». . ومن ثم رأيت أن من الواجب أن أتعرف بك. . تعالي وتحدثي معي أثناء انشغالي بتجميل وجهي. . يخيل لي أنني أبدو الآن قبيحة الشكل جداً. .

وقبلت «شارلوت آدامز» الدعوة، وتهالك «بريان مارتن» على أقرب مقعد إليه، ثم قال لـ (بوارو) :

ـ حسناً يا سيد (بوارو). . لقد اقتنصتك «جين» عنوة، فهل قبلت أن تخوض المعركة بدلاً منها؟. . يحسن أن تعرف الحقيقة عن «جين» الآن وقبل فوات الأوان. . إنها لا تعترف بكلمة لا. . وصمت لحظة ثم قال :

ـ لعلك لم تلتق بها حتى الآن؟!

فقال «بريان» في تراخ، وهو ينفث دخان سيجارته :

ـ إنها شخصية عجيبة. . أعني «جين» طبعاً. . إنها لا تعترف بالمبادىء والقيم. ولا أعني بهذا أنها إنسانة منحلة، وإنما أعني أنها لا تعترف بأي شيء يعترض رغباتها المشروعة. .

ثم ضحك وأردف قائلاً :

ـ يخيل لي أنها ستقتل شخصاً ما ذات يوم، ثم تدهش وتتذكر إذا حاول أحد القبض عليها، وأراد أن يعاقبها بالشنق. . والمشكلة هي أنها لابد أن تقع في قبضة العدالة لو حدث هذا، لأنها لا تعرف معنى المراوغة والحذر. . إن فكرتها عن ارتكاب الجريمة هي الذهاب مباشرة إلى غريمها، ثم تذكر اسمها للجميع وتقتله. .

فغمغم (بوارو) قائلاً :

ـ إنني في الواقع لا أدري لماذا تقول هذا! . .

ـ آه! ! .

ـ هل تعرفها جيداً يا سيدي؟

ـ أعتقد هذا. .

ثم ضحك مرة أخرى. . ولكن ضحكته رنت في أذني مفتعلة باردة، وعاد يقول وهو يشير إلى السيد والسيدة «ويد بيرن» :

ـ ألا توافقان على هذا؟!

فوافقت السيدة «ويد بيرن» قائلة :

ـ أعتقد أن «جين» أنانية جداً. . ومن رأيي أن هذه هي الصفة الأساسية في كل ممثلة، هذا إذا أرادت أن تحتفظ بشخصيتها. . !

ولم يقل (بوارو) شيئاً وإنما ظل ينظر إلى «بريان مارتن» بعينين ينمان عن شعور غريب مثير للتساؤل. . !

وأقبلت في تلك اللحظة «جين ويلكنسون» من الغرفة المجاورة ـ غرفة نومها ـ وهي في كامل زينتها وأناقتها، ومن ورائها جاءت «شارلوت آدامز». . ونظرت إلى «جين» لأرى ماذا فعلت بوجهها، ولشد ما كانت دهشتي حين تبينت أنها لم تستطع ـ بأدوات الزينة ـ أن تضيف إلى جماله الباهر مزيداً!

ورغم جو المرح الذي شاع بيننا، أثناء تناولنا العشاء بعد ذلك، فقد أحسست أن هناك تيارات نفسية خفية لم أستطع أن أعرف كنهها. .

ولكنني أعترف أن «جين ويلكنسون» كانت بعيدة عن كل غموض والتواء. . ذلك أنها كانت تبدو لي مجرد فتاة في سن الخامسة والعشرين، جميلة موهوبة، صريحة، لا تستطيع إلا أن ترى شيئاً واحداً فقط في اللحظة الواحدة. . لقد أرادت أن تعهد إلى (بوارو) بمهمة ما، وما دامت قد نجحت فيما أرادت، فإنها لا تتردد في الإعراب عن سرورها وابتهاجها، وكأنما أيقنت أن المهمة التي كلفته بها سوف تنتهي إلى ما تحب وترضى، أما رغبتها في ضم «شارلوت آدامز» إلى ذلك العشاء، فأعتقد إنها نبعت من شعورها الصبياني برؤية هذه الفتاة التي تحسن تقليدها، والتعرف بها عن قرب. .

وهذا يعني أن التيارات الخفية التي أحسست بها أثناء تناول العشاء لم يكن لها شأن بـ «جين ويلكنسون». . إذن فمن يكون السبب فيها؟ وشرعت أفحص الحاضرين بنظراتي خلسة. .

«بريان مارتن»؟! . .

لقد بدا لي أنه لا يتصرف بطريقة طبيعية. ولكن. . أليس هذا من خصائص الممثل السينمائي عادة؟!

وماذا عن «شارلوت آدامز»؟!

لقد كانت طبيعية في تصرفاتها.. مجرد فتاة أمريكية موهوبة، لطيفة جذابة الحديث، لها وجه قد يكون خالياً من الجمال المثير، إلا أنه يثير في نفسك الشعور بالراحة والثقة في صاحبته..

وكان يبدو أنها سعيدة بتقدير «جين» لمواهبها.. ولكن حدث أثناء فحصي لها، أن رأيتها تنظر إلى «جين» التي كانت مشغولة بالحديث مع (بوارو) في تلك اللحظة، وقد بدا لي أنها تتأمل وجه «جين» بنظرات تنم عن الحسد والنفور في وقت واحد..

وعدت أنظر إلى الضيوف الثلاثة الآخرين.. وبدا لي بوضوح أن السيد والسيدة «ويد بيرن» لا يهمهما شيء في الوجود إلا المسرح، وإلا العاملين عليه. وثبت لي أني على حق عندما أشاحت السيدة «ويد بيرن» بوجهها عني حين عرفت أني لست من المهتمين بالمسرح!

أما الشخص الثالث ـ والأخير ـ الذي كان جالساً مع «شارلوت آدامز».. فقد بدا لي أنه مجرد شاب جميل مستدير الوجه، شرب من الخمر أكثر مما ينبغي في ذلك الوقت. ويلوح أنه كان يعاني من الشعور بالاضطهاد أو الظلم.. ومن ثم فقد جلس في أول الأمر حزيناً، كاسف البال لا يكاد ينطق بكلمة. وفجأة، استدار نحوي، وراح يحدثني، وكأنني واحد من أعز أصدقائه. وبعد أن حدثني عن فتاته التي يحبها، والتي اقترض من أحد أصدقائه مبلغاً كبيراً ليشتري لها هدية ثمينة، وبعد أن جعلني أفهم أنه يعاني من ضائقة مالية، فاجأني بقوله:

ـ ولكن.. من أنت بحق الشيطان؟!

فقلت له:

ـ إنني أدعى «هاستنج»..

ـ أحقاً؟.. لقد حسبتك صديقي القديم «سينسر جون» الذي زاملته في كلية هارو، واقترضت منه ذات مرة خمسة جنيهات. حسناً، حسناً؟ إذا لم تكن «سينسر جون» فلماذا أثرثر معك على هذا النحو؟!

وهز رأسه بحزن، ولكنه لم يلبث أن استرد روح المرح والتفاؤل وعاد يقول وهو يشرب كأس الشمبانيا الموضوع أمامه:

ـ لكن، يحسن بالإنسان أن ينظر إلى الجانب البهيج من الحياة بين الحين والآخر . . فأنا مثلاً أعيش على أمل أن أصبح ذات يوم رجلاً ثرياً جداً، نعم. . ربما أكون رجلاً ثرياً حين أبلغ الخامسة والسبعين من عمري. . فعندما يموت عمي، سأرث أمواله وممتلكاته، وأستطيع عندئذ أن أسدد جميع ديوني. .

واتسعت الابتسامة على شفتيه عندما خطرت له هذه الفكرة، وكان الشاب ـ في جملته ـ لطيفاً جذاباً، وإن بدا في تلك اللحظة كرجل ضل طريقه في الصحراء.

ولاحظت أن نظرات «شارلوت آدامز» إليه تنم عن الحب له. . وبعد أن ألقت عليه نظرة أخيرة، نهضت لتنصرف وهي تقول لـ «جين» :

ـ إنني أشكرك على دعوتك لي يا ليدي «أدجوير». .

فقالت «جين» :

ـ بل إنه لجميل منك أن تقبلي دعوتي، وأنا أحب عادة أن أحقق الرغبات التي أحس بها فوراً. . أليس هذا شأنك؟

فقالت الآنسة «آدامز» :

ـ لا . . إنني أحب دائماً أن أفكر كثيراً قبل أن أبدأ في تحقيق رغبة لي. . حتى لا أندم!

وضحكت «جين» قائلة :

ـ حسناً، إن النتائج سوف ترضيك. . والواقع أنني لم أستمتع بأداء مسرحي كما استمتعت بأدائك هذه الليلة. .

فابتسمت «شارلوت آدامز» قائلة :

ـ شكراً جزيلاً على هذه المجاملة. . والواقع أن هذا التشجيع يسعدني جداً. . ويبدو أننا جميعاً في حاجة إلى التشجيع بين الحين والآخر. .

وهنا قال الشاب ذو الوجه المستدير :

ـ هلم يا «شارلوت». . صافحي الجميع واشكري العمة «جين» وتعالي. .

وقالت «جين» وهي تنظر إليه حيث كان واقفاً بالباب المؤدي إلى الممر الخارجي :

ـ عجباً! . . من هذا الذي يدعوني بالعمة «جين»؟ إنني لم ألحظ وجوده بيننا. . ؟

وعندئذ قالت السيدة «ويد بيرن» :

ـ دعيك يا «جين» من أمره. . إنه شاب عابث كما تعلمين، ولا خير في لومه. حسناً. . حسناً. . أرى أن الوقت قد حان لأنصرف مع زوجي.

وانصرف الزوجان، وبرفقتهما «بريان مارتن» :

وقالت «جين» بعد انصراف الجميع :

ـ ما رأيك يا سيد (بوارو)؟!

ـ حسناً يا ليدي «أدجوير»؟

ـ أرجوك. . بحق السماء، لا تناديني بهذا الاسم. . إنني أحاول أن أنساه. . أذهب إليه وأقنعه بالموافقة على الطلاق. .

فقال (بوارو) بحذر :

ـ سأذهب لمقابلته. .

ـ وإذا رفض أن يصغي إليك، فابحث عن وسيلة أخرى لتحقيق هدفي. .

ثم أردفت قائلة بصوت حالم :

ـ يجب أن أتزوج من اللورد «ميرتون». . نعم. . تصور الضجة الهائلة التي سيثيرها مثل هذا الزواج في البلاد؟



الفصل الثالث

ذو السن الذهبية

بعد أيام قليلة كنت جالساً مع (بوارو) إلى مائدة الإفطار عندما قدم إلي خطاباً كان قد فرغ من قراءته في تلك اللحظة، ثم قال :

ـ ما رأيك في هذا يا عزيزتي؟. .

وكان الخطاب من اللورد «أدجوير» مكتوباً بخط ينم عن الحزم، ويحدد بإيجاز موعداً للمقابلة في اليوم التالي. .

واعترف أنني دهشت جداً. . ذلك أنني حسبت أن (بوارو) كان يحايل الليدي «أدجوير» فقط عندما قال لها إنه ينوي أن يزور زوجها لإقناعه بالموافقة على الطلاق. . ولهذا لم يخطر ببالي أنه شرع فعلاً في اتخاذ الخطوات التمهيدية لزيارة اللورد في قصره.

وأدرك (بوارو) ما دار بنفسي، فابتسم وقال :

ـ الواقع أنني لم أطلب مقابلة اللورد «أدجوير» إكراماً لـ «جين ويلكنسون» فقط، وإنما لأن الموضوع في ذاته يثير فضولي، ولا شك أن رجلاً مثل اللورد «أدجوير» يستحق أن يراه الإنسان عن قرب ليعرف الحقيقة عنه. . !

ـ وهل تعتقد أنك ستنجح في مهمتك؟!

ـ هذا لا يهم. . بل إنه لن يهم «جين» كثيراً، فالواقع أن «جين» تريد الزواج من الدوق ميرتون لا حباً فيه، وإنما رغبة في إثارة أكبر ضجة ممكنة حولها. وهذه الضجة يمكن أن تثار لأي سبب آخر. . !

وأخيراً قلت :

ـ حسناً. . سنذهب إذن إلى قصر اللورد في ريجنت جيث غداً في الحادية عشرة!

فرفع (بوارو) حاجبيه، وقال :

ـ أتعني أنك ذاهب معي؟

فهتفت قائلاً:

ـ أجل يا (بوارو).. أتريد أن تذهب بمفردك؟.. أليس من المعتاد أن نذهب معاً إلى كل مكان؟!

ـ نعم.. نعم.. هذا إذا كان الأمر يتعلق بجريمة غامضة، أو حادث تسمم يثير الاشتباه.. أما مجرد زيارة عادية لإنسان ما، فإن...

فقاطعته قائلاً بحزم:

ـ لا تتعب نفسك.. إنني ذاهب معك سواء قبلت أم رفضت!

وضحك (بوارو). وأقبل الخادم يقول أن سيداً يريد مقابلة السيد (بوارو).. ولشد ما كانت دهشتنا حين أقبل هذا السيد، فإذا به الممثل المعروف «بريان مارتن» نفسه.

وبدا لي «بريان» في ضوء النهار أكبر سناً مما كنت أظن، إلا أن جمال وجهه ظل كما هو.. مثيراً فاتناً. وخطر لي وأنا ألاحظ تصرفاته المتوترة أنه مدمن على نوع ما من المخدرات..

قال وهو يحاول أن يبدو لطيفاً مرحاً:

ـ طاب صباحك يا سيد (بوارو) وأنت يا كابتن «هاستنج».. أرى أنكما تفطران في وقت مناسب.. ولكنني أخشى أن تكون مشغولاً بعد ذلك يا سيد (بوارو)..

فابتسم (بوارو) وقال:

ـ لا.. ليس ثمة ما يشغلني كثيراً في الوقت الحاضر..

فضحك «بريان» وقال:

ـ أهذا معقول..؟ أليس رجال اسكتلانديارد في حاجة إليك اليوم؟.. إنني لا أستطيع أن أصدق أنك غير مشغول بشيء خطير في يوم ما!

ولم يسع (بوارو) إلا أن يبتسم قائلاً:

ـ أنت يا صديقي تمزج الحقيقة بالخيال.. وأستطيع أن أؤكد لك أنني الآن خال تماماً من أية شواغل..

فعاد «بريان» يضحك قائلاً:

ـ حسناً، هذا من حسن حظي.. ولعلك تقبل أن تقوم بمهمة من أجلي..

فتأمل (بوارو) الممثل الشاب ملياً، قبل أن يقول :

ـ ألديك مشكلة أنت أيضاً؟

ـ أستطيع أن أقول نعم. . ولا!

ومرة أخرى ضحك الشاب، ولكن ضحكته كانت متوترة إلى حد كبير. . وأخيراً جلس على المقعد الذي أشار إليه (بوارو) وقال وهو يواجهنا :

ـ الواقع أن المشكلة ـ إن كانت مشكلة حقاً ـ بدأت في أمريكا منذ بضعة أشهر. . وكانت المصادفة البحتة هي التي لفتت نظري إليها. . فبينما كنت مسافراً بالقطار في رحلة ما، لاحظت وجود رجل معين، قبيح الشكل، صغير الجسم، حليق الشارب، يضع على عينيه نظارة طبية، وإحدى أسنانه من الذهب. .

ـ رجل ذو سن ذهبية؟!

ـ أجل. . وهذه هي المشكلة. .

فأومأ (بوارو) برأسه وقال :

ـ حسناً. . بدأت أفهم. .

ـ أقول لاحظت وجود هذا الشخص أثناء رحيلي إلى نيويورك. . وبعد ستة أشهر كنت في مدينة لوس أنجلس عندما لاحظت هذا الشخص نفسه مرة أخرى. وربما كان الأمر طبيعياً أن يلتقي الإنسان برجل معين مرتين في مكانين مختلفين. .

ـ استمر في حديثك. .

ـ وبعد شهر آخر كنت أقوم بدور سينمائي في مدينة سيتل، وهناك رأيت صاحبنا هذا، وكان في هذه المرة يطلق لحيته. . !

ـ هذا عجيب فعلاً. .

ـ وحتى ذلك الحين كنت أعتقد أن لقائي بهذا الرجل كان محض مصادفة. . إلا أنني بدأت أشعر بالقلق حين رأيته بعد ذلك في لوس أنجليس مرة أخرى بدون لحية، ثم في شيكاغو بشارب كثيف، وفي قرية جبلية متنكراً في هيئة صعلوك متشرد. . ومن ثم تأكدت أن الرجل يتبعني لأمر ما. .

ـ هذا استنتاج طبيعي. .

ـ وازددت يقيناً بعد ذلك حين رأيت هذا الرجل ورائي في كل مكان أذهب إليه. وكان يتنكر دائماً في سمات مختلفة، ولولا سنه الذهبية، لما أمكنني أن أفطن إليه..

ـ من حسن حظك أن للرجل سناً ذهبية..

ـ أعتقد هذا.

ـ ولكن، ألم تحاول يا سيد «مارتن» أن تتحدث مع الرجل.. أن تسأله مثلاً.. لماذا يتبعك بمثل هذا الإصرار؟!

فتردد الممثل برهة قبل أن يقول:

ـ لا.. لم أفعل. لقد خطر لي أن أسأله أكثر من مرة، ولكنني دائماً أتراجع في اللحظة الأخيرة.. كنت أخشى أن يفطن الرجل إلى أني عرفت أمره، فيزداد حذراً، أو يحاول الذين يرسلونه ورائي أن يرسلوا شخصاً آخر لا تكون له هذه السن الذهبية المميزة!

ـ آه إنك تتحدث يا سيد «مارتن» عن «الذين يرسلونه وراءك» فمن هم هؤلاء الناس؟..

ـ إنني لا أقصد أشخاصاً معينين، وإنما أنا أستنتج فقط..

ـ حسناً استمر في حديثك..

ـ وقد خطر لي أن هذا الأمر راجع إلى حدث معين وقع لي في لندن منذ عامين.. كان حدثاً صغيراً ولكنه لا ينسى، وكثيراً ما تذكرته وفكرت فيه.. ولما لم أستطع أن أجد التفسير المعقول له، خطر لي أن هذه المطاردة الخفية قد تكون لها علاقة به..

ـ حسناً.. ما هو هذا الحدث؟.

فابتسم «بريان» بمزيد من التوتر العصبي، وقال:

ـ العجيب في الأمر أنني لا أستطيع أن أذكره لك الآن.. ولكنني قد أستطيع أن أفعل هذا بعد يوم أو يومين..

ولما شعر بنظرات (بوارو) الحادة النفاذة، قال معتذراً:

ـ أرجو أن تلتمس لي العذر، لأن ثمة فتاة لها ضلع في هذا الحدث.. ولا مندوحة لي من استئذانها في ذكره لك..

ـ آه تماماً.. أهي فتاة إنجليزية؟..

ـ نعم.. ولكن لماذا؟

ـ لأنك لا تستطيع أن تذكر لي الحدث إلا بعد استئذانها في خلال يوم أو يومين،

وهذا يعني إنها مقيمة في انجلترا. . وهذا تعليل معقول يبرر السؤال. . !

ـ نعم ، نعم. . والآن يا سيد (بوارو). . هل ستقبل العمل من أجلي إذا أنا حصلت على الإذن منها؟. .

فصمت (بوارو) برهة قبل أن يقول :

ـ ولكن لماذا جئت إلي قبل أن تتحدث معها في الأمر؟

فقال «بران » متردداً :

ـ الحقيقة أنني. . آه. . كنت أريد أن أقنعها لكي. . لكي تضع حداً لهذه المطاردة عن طريقك. ولكن. حسناً. أعتقد أن قيامك بهذه المهمة لن يؤدي إلى نشرها على الجمهور.

ـ هذا غير مؤكد. .

ـ ماذا تعني يا سيد (بوارو)؟!

ـ أعني إذا كان في الأمر جريمة ما، فلا بد أن نخطر الشرطة بها. .

ـ لا، لا. . أنا واثق أن الأمر لا ينطوي على أية جريمة. .

ـ من يدري؟!

ـ ولكنك سوف تبذل كل جهدك من أجلها. . من أجلنا معاً. .

ـ طبعاً . . طبعاً. .

وبعد برهة صمت، قال (بوارو) :

ـ كم عمر ذلك الرجل الذي يتبعك؟

ـ في نحو الثلاثين تقريباً. .

ـ آه. إن هذا يضفي علي الأمر كله أهمية خاصة. .

وحملقت في وجه (بوارو) وكذلك فعل «بريان»، لأن كلاً منا لم يستطع أن يفهم سر هذه الأهمية التي يضفيها سن الرجل على الأمر!

وقال (بوارو) كأنما يجيب على تساؤلنا الصامت :

ـ نعم. . نعم. . إن هذا يجعل للموضوع أهمية خاصة. .

فقال «بريان» مرتاباً :

ـ ولكن. . ربما كان الرجل أكبر سناً من مظهره. .

ـ لا.. لا.. إنني واثق من صحة ملاحظتك يا سيد «مارتن».. والواقع أن الأمر عجيب.. عجيب جداً..

وبلغت الدهشة بـ «بريان مارتن» حداً جعله لا يعرف كيف يجيب أو ماذا يقول، ومن ثم راح يتحدث عن لقائه بنا في اليوم السابق قائلاً:

ـ كان عشاء لطيفاً، ذلك الذي تناولناه معاً ليلة أمس... والواقع أن «جين ويلكنسون» هي أذكى سيدة عرفتها في حياتي..

فابتسم (بوارو) وقال:

ـ إن الذكاء أحياناً لا يكون من الصفات المطلوبة في المرأة الجميلة!

فهز «بريان» كتفيه وقال:

ـ أياً كان أمرها، فإني شديد الحب لها رغم كل عيوبها..

ـ وهل تعرف الكثير من هذه العيوب يا سيد «مارتن»؟..

ـ لا.. لا.. مطلقاً.. كل ما أعرفه أنها عنيدة، وأنها لا تتراجع عن الشيء الذي تريد الوصول إليه..

ـ وهل تعتبر هذا عيباً يا سيد «مارتن»؟.

أعتقد هذا عندما يحاول المرء تحقيق رغباته دون النظر إلى الوسائل التي يحقق بها هذه الرغبات.

فابتسم (بوارو) وقال:

ـ تعني إن القيم الأخلاقية لا تمنعها من تحقيق رغباتها؟

ـ يبدو لي أنها تحكم العاطفة دون العقل، ولا ترى الصواب أو الخطأ إلا من زاويتها الخاصة..

ـ آه.. أتذكر أننا تحدثنا في هذا الأمر أمس.

ـ ولكننا كنا نتحدث الآن عن احتمال وقوع جريمة ما..

ـ أجل يا صديقي..

فتردد «بريان مارتن» قبل أن يقول:

ـ ولهذا لن يدهشني كثيراً إذا ارتكبت «جين» جريمة ذات يوم..

فقال (بوارو) مفكراً :

ـ أعتقد أنك أكثر دراية بها من الغير . . لقد مثلت أمامها كثيراً . . أليس كذلك؟

ـ نعم . . وأرى أنني أكاد أعرف كل صغيرة وكبيرة في أعماق نفسها . . ويبدو لي أنها لا تتردد في قتل أي إنسان يعترض طريقها . . !

ـ إذن فهي صاحبة مزاج حاد؟!

ـ لا . . لا . . مطلقاً . . إنها عادة تضع أعصابها في ثلاجة. وإنما أعني أنها تزيل كل من يعترض طريقها أو رغباتها دون أن تفكر كثيراً في العواقب . . كل ما يهمها في الأمر أنه ليس لأي إنسان الحق في أن يعترض طريقها أو يحول دون تحقيق رغباتها!

وخيل إلي أن كلماته الأخيرة كانت تنم عن شعور عميق بالمرارة والحنق. وصمت (بوارو) قليلاً قبل أن يسأله قائلاً وهو يمعن النظر في وجهه :

ـ أنت تعتقد إذن أن في مقدورها أن ترتكب جريمة قتل؟

وتنفس «بريان» بعمق قبل أن يقول :

ـ بكل تأكيد . . ولعلك تذكر كلماتي هذه في يوم ما . . إنني أعرفها تماماً . . إنها لا تتردد في قتل أي إنسان بكل بساطة، وكأنها تشرب قدح شاي . . أنا واثق من هذا يا سيد (بوارو).

ولما نهض واقفاً، قال له (بوارو) :

ـ نعم . . أرى أنك واثق من هذا فعلاً . .

فعاد «بريان» يقول مؤكداً :

ـ إنني أعرفها تماماً . . أعرف حقيقة نفسيتها . .

وبعد أن فكر برهة، قال فجأة :

ـ أما فيما يختص بالموضوع الذي حدثتك عنه فسوف أعود إليك بشأنه بعد يوم أو يومين يا سيد (بوارو) . . وأعتقد أنك سوف تتولى هذا الأمر . . أليس كذلك؟

ونظر (بوارو) إليه برهة قبل أن يجيب قائلاً :

ـ نعم . . لسوف أتولى هذا الأمر، لأنه في رأيي أمر مثير . .

وبدا لي أن (بوارو) كان يقصد معنى معيناً من عبارته الأخيرة . .

ولما رافقت «بريان» إلى الباب، توقف برهة وقال لي :

ـ هل عرفت الغرض من سؤاله عن عمر ذلك الرجل ذي السن الذهبية. . أعني، لماذا يرى صاحبك أن الموضوع أصبح مثيراً بعد أن عرف أن الرجل في سن الشباب؟!

ـ إنني لم أفهم شيئاً! . .

فابتسم «بريان» وقال :

ـ حسناً . . إذن فأنا لست غبياً كما حسبت . . طاب يومك . . وبعد انصرافه، عدت إلى (بوارو) قائلاً :

ـ (بوارو)؟ . . ماذا كنت تقصد من اهتمامك بعمر ذلك الرجل؟

فابتسم قائلاً :

ـ ألم تعرف سر اهتمامي؟ . . يالك من مسكين يا هاستنج! .

حسناً . . ما رأيك في زيارة السيد «مارتن» هذه بوجه عام؟

ـ من الصعب أن يتكهن الإنسان برأي عنها، لأن المعلومات القليلة التي ذكرها لا تكفي . .

ـ وحتى هذه المعلومات القليلة تدل على . .

وقطع (بوارو) الحديث حين رن جرس التليفون . . فتناولت المسماع، وسمعت صوت سيدة تتحدث بلهجة جادة واضحة :

ـ إنني سكرتيرة «اللورد أدجوير» . . إن اللورد يأسف لإلغاء موعد الغد لأنه مضطر للسفر إلى باريس لأمر مفاجىء . . فإذا لم يكن لدى السيد (بوارو) مانع من مقابلة اللورد بضع لحظات اليوم في نحو الثانية عشرة والربع ظهراً ـ فإن اللورد يسعده أن يستقبل في هذا الموعد . .

ولما أبلغت (بوارو) الأمر، قال :

ـ لا بأس . . لنذهب اليوم بدلاً من الغد . .

وأخبرت سكرتيرة اللورد بهذا، فقالت :

ـ حسناً . . إلى الثانية عشرة والربع إذن . .



الفصل الرابع

المقابلة

وصلت مع (بوارو) إلى قصر اللورد «أدجوير» في حي ريجنت جيت، ونحن في حالة معنوية عالية يمتزج فيها الفضول بالترقب.. ذلك إن كلا منا كان متلهفاً إلى رؤية هذا اللورد العجيب الأطوار الذي تعتقد زوجته أن موته خير من بقائه على قيد الحياة..

وكان القصر بين مجموعة من القصور المماثلة، ذات الطابع الفاخر الذي لا يخلو من جو الكآبة والوقار. وبعد أن ضغطنا على جرس الباب الخارجي، فتح لنا الباب «تشريفاتي» أثار دهشتنا، لأنه لم يكن كما كنا نتوقع.. إذ لم يكن من هؤلاء «التشريفاتية» الكهول ذوي الوقار والشعر الأشيب.. وإنما كان شاباً على جانب كبير من الوسامة، بل لعله كان أجمل شاب رأيته في حياتي. كان طويلاً، ذهبي الشعر، متناسق الملامح، يصلح لأن يكون نموذجاً لمثال، يريد أن ينحت تمثالاً لابللو إله الشعر أو لهوميروس صاحب الإلياذة.. وذلك رغم ما كان يبدو عليه من أنوثة وطراوة في الصوت وقد بدا لي حين رأيته أنه يذكرني بشخص ما رأيته منذ مدة قريبة،ولكنني لم أستطع أن أتذكر في تلك اللحظة من يكون..

ولما سألناه عن اللورد «أدجوير» قادنا عبر صالة له لسلم يفضي إلى الطابق الثاني، ولكننا تجاوزنا مدخل السلم إلى باب في نهاية تلك الصالة.

وقال الشاب ـ وهو يفتح الباب ـ بصوت ناعم:

ـ السيد (بوارو) والكابتن «هاستنج»..

وكانت الغرفة التي دخلناها أقرب شيء إلى غرفة المكتبة.. فقد كانت رفوف الكتب تدور بجوانبها، كما كان أثاثها وقوراً، قاتم اللون، ومقاعدها الكبيرة الوثيرة، مريحة جداً..

ونهض اللورد «أدجوير» عن مكتب فاخر كان جالساً إليه،فإذا هو رجل في نحو

الخمسين من عمره، طويل القامة، أسود الشعر، رغم وجود شعرات بيضاء كثيرة عند فوديه . . وكان وجهه نحيلاً، وشفتاه تنمان عن القسوة وحب السخرية من الغير.

وبدا لنا من اللحظة الأولى أنه رجل تعس، تملأ نفسه المرارة الدائمة، كما كانت نظراته القاسية النفاذة تنم عن شيء غامض، مثير، رهيب . .

وقال بعد أن استقبلنا بطريقة رسمية جادة :

ـ السيد (بوارو)؟ . . الكابتن «هاستنج» أرجو أن تتفضلا بالجلوس . .

وجلسنا . . وأحسسنا ببرودة تشيع في الغرفة . . وكان ثمة ضوء خافت ينساب من أحد النوافذ . وبدأ لنا أن ظلمة الغرفة تتفق مع جوها البارد!

واستطرد اللورد قائلاً :

ـ إنني أعرف من أنت ـ بطبيعة الحال ـ يا سيد (بوارو) . . ولكنني لا أستطيع أن أجد تفسيراً معقولاً لهذه الزيارة . لقد ذكرت أنك تريد مقابلتي نيابة عن . . عن . . زوجتي!

ـ أجل يا سيدي اللورد . .

ـ ولكني أعرف أنك متخصص في الكشف عن غموض الجرائم يا سيد (بوارو)!

فابتسم (بوارو) وقال :

ـ الواقع أنني متخصص أيضاً في معالجة بعض مشكلات عملائي .

ـ أحقاً؟ . . وما هي المشكلة التي تريد معالجتها في هذه الزيارة؟

ـ لقد أردت التشرف بزيارتك نيابة عن الليدي « أدجوير» التي . التي تطلب الطلاق .

ـ حسناً؟ . . إنني أعرف هذا . .

ـ وهي تعتقد أن في مقدورنا ـ معاً ـ أن نصل إلى حل معقول لهذه المشكلة!

ـ ولكن الأمر لا يستحق كل هذا العناء . . !

ـ هل أفهم من هذا أنك ترفض مجرد الحديث في شأنه؟!

ـ ولماذا نتحدث؟!

ـ كأنك ترفض الطلاق دون أدنى مناقشة . . ؟!

ـ طبعاً لا . . إنني لا أرفض أن أطلقها في أي وقت تشاء . .

وانعقد لسان صاحبي (بوارو) من فرط الدهشة. . وأعترف أنني لم أره مدهوشاً من قبل ـ لأي شيء ـ كما رأيته في تلك اللحظة. . على أنه تمالك نفسه بسرعة وقال:

ـ تقول إنك لا ترفض طلاقها؟

ـ طبعاً. . وإني لا عجب من دهشتك البالغة هذه. .

ـ عجباً؟. . هل أنت موافق على طلاق. . زوجتك؟

ـ بكل تأكيد. . وهي تعرف ذلك تماماً. . لقد أرسلت إليها خطاباً بهذا المعنى. .

ـ متى؟

ـ منذ ستة أشهر. .

ـ ولكن. . عجباً. . إنني لا أكاد أفهم شيئاً. .

ولما ظل اللورد «أدجوير» صامتاً، أردف (بوارو) قائلاً:

ـ لقد فهمت أنك تعارض في الطلاق بإصرار شديد. .

ـ نعم. . كان هذا موقفي من قبل. . لقد عارضت في طلاق زوجتي الأولى، وكان ذلك خطأ كبيراً مني. وكنت معارضاً في طلاق «جين». . ولكنني وافقت وأرسلت إليها خطاباً منذ ستة أشهر أصارحها فيه بأني على استعداد لتطليقها في أي وقت تشاء.

ـ وأين كانت هي عندئذ؟

ـ في هوليوود. .

وأردف اللورد قائلاً كأنما يرد على تساؤل صامت من (بوارو):

ـ كنت أعارض في طلاقها عندما خطر لي أنها تريد أن تتزوج من ممثل سينمائي. . ولما تبينت أن هذه ليست الحقيقة، كتبت إليها بموافقتي على الطلاق في أي وقت. . عجباً. . ألم تقل لك هذا؟. . أم لعلها تريد أن تساوم وتطالب بنفقة ما؟

وقال (بوارو) مردداً كالببغاء:

ـ هذا عجيب!. . إنني لا أفهم شيئاً مطلقاً. .

ـ إذا كان هذا هو هدفها، فأخبرها أنني لن أدفع لها شيئاً على الإطلاق. . إنها هي التي ترغب في الطلاق. وإذا كانت تريد أن تتزوج رجلاً آخر، فإني مستعد لتحريرها من ربقة زواجها بي، أما أن أدفع مالاً فوق هذا، فذلك هو المستحيل بعينيه. .!

وهنا قال (بوارو) :

ـ إن «جين» لم تطلب إلي أن أتحدث عن شيء من هذا القبيل.

ـ إذن لا بد أنها ستتزوج برجل واسع الثراء.. أكثر ثراء مني..!

وبعد برهة من الصمت، قال (بوارو) :

ـ لقد أخبرتني الليدي إنها بذلت كل ماتستطيع من جهد لكي تمنحها الطلاق، واستعانت في هذا بالمحامين!

ـ نعم.. لقد استعانت بعدد كبير من المحامين.. من أمريكا، ومن انجلترا.. صغاراً وكباراً.. محامين محترمين ومحامين لا يهمهم إلا الحصول على أكبر قدر من الأتعاب. وأخيراً أرسلت إلي خطاباً تتوسل فيه أن أمنحها الطلاق..

ـ وكنت ترفض دائماً؟!..

ـ نعم..

ـ ثم قبلت عندما أرسلت خطاباً إليك؟.. فلماذا؟..

ـ إنني لم أقبل بناء على ما ورد في خطابها، وإنما غيرت، رأيي وقررت أن أمنحها الطلاق.. هذا هو كل ما في الأمر..

ـ وهل هذا التغيير مفاجيء؟

ولم يجب اللورد على هذا السؤال.. ومن ثم قال (بوارو) :

ـ ولكن ما هي الظروف الخاصة التي جعلتك تغير رأيك فجأة على هذا النحو يا لورد «أدجوير»؟!..

ـ هذا أمر يخصني شخصياً يا سيد (بوارو).. وأنا لست على استعداد لأن أتبادل الحديث معك بشأنه.. ولكن يكفي أن أقول ـ مثلاً ـ إنني تبينت فجأة أن من الأفضل أن أقطع علاقتي مع. مع.. مع سيدة لا ترتفع إلى مستواي الاجتماعي.. إن زواجي الثاني كان غلطة كبيرة..

فقال (بوارو) برفق :

ـ هذا هو رأي زوجتك أيضاً!..

ـ أحقاً؟؟

ثم نهض معلناً انتهاء المقابلة، وهو يقول بلهجة أكثر تودداً :

ـ أرجو أن تغفر لي تغييري لموعد المقابلة، لأنني مضطر للسفر إلى باريس غداً لحضور مزاد بيع لوحات وتحف ثمينة . .

وكان اللورد في هذه اللحظة يبتسم، وقد بدت لي ابتسامة قاسية بعيدة عن كل رقة أو عطف . . وكنت قد لاحظت بين الكتب الموضوعة على الرفوف، كتباً من نوع «مذكرات كازانوفا» «وحياة الكونت دي ساد» و «التعذيب في العصور الوسطى».

وتذكرت الرعدة التي سرت في بدن «جين ويلكنسون» وهي تتحدث عن زوجها . . لا شك أنها لم تكن تمثل الخوف في تلك اللحظة . . !

وفيما نحن نغادر الغرفة، حانت مني نظرة مفاجئة إلى الوراء، فإذا بي أرى وجه اللورد «أدجوير» وقد ارتسمت عليه نظرات قاسية شريرة، وكأنما هي نظرات رجل يفكر في ارتكاب جريمة قتل رهيبة، بعد أن امتلأت نفسه بثورة غضب مجنونة . . !

وعرفت عندئذ، لماذا لم تستطع واحدة من زوجتيه أن تبقى معه أكثر من سنة . . !

وفيما نحن نقترب من الباب الخارجي للقصر، إذا بباب على الجانب الأيمن يفتح وتقف فيه فتاة نحيلة القوام، سوداء الشعر، ممتقعة الوجه . . وتلاقت نظراتها بنظراتي لحظة خاطفة، ثم إذا هي تتراجع منكمشة إلى الغرفة وتغلق الباب . .

وبعد لحظة كنت في الشارع مع (بوارو) الذي استدعى سيارة مأجورة، وطلب من السائق أن يحملنا إلى فندق سافوي . .

وقال لي في الطريق، وهو يغمز بعينه :

ـ هه! . . ما رأيك في هذه المقابلة يا «هاستنج»؟

فذكرت له ما شاهدته على وجه اللورد عند انصرافنا من غرفته، وأومأ (بوارو) بهدوء وقال :

ـ أعتقد أن هذا الرجل على حافة الجنون فعلاً . . ويبدو لي أنه يمارس ألواناً عجيبة من الآثام، وأن وراء مظهره البارد نفساً زاخرة بأقسى ألوان المشاعر وأغربها . .

ـ إذن لا عجب أن تهجره الزوجة بعد الأخرى . .

ـ تماماً . .

ـ (بوارو) . . هل رأيت تلك الفتاة ذات الوجه الممتقع التي ظهرت فجأة ونحن عند الباب الخارجي؟

ـ نعم . . إنها فتاة شابة محرومة من السعادة، ممتلئة النفس بالخوف من شيء ما . . !

ـ أعتقد أنها ابنته . . إن له ابنة من زوجته الأولى . . أليس كذلك؟

ـ نعم . . ولا شك أنها تفتقر إلى السعادة في داخل القصر الكئيب . .

ـ آه . . ها نحن قد وصلنا . . ترى كيف ستستقبل الليدي «أدجوير» هذه الأنباء السعيدة التي نحملها لها؟!

وأخبرنا عامل التليفون بالفندق ـ بعد أن اتصل بجناح «جين» ـ إنها موجودة، وإنها في انتظارنا. ولم نلبث أن صعدنا إليها، حيث استقبلتنا أولاً وصيفة في منتصف العمر، شعرها أبيض، ثم سمعنا صوت «جين» وهي تتحدث من غرفة نومها قائلة :

ـ دعي السيد (بوارو) يتفضل بالجلوس وينتظر قليلاً . . لسوف آتي إليه حالاً بعد أن أرتدي ثوباً لائقاً . .

وما هي غير لحظات حتى أقبلت «جين» في ثوب فاخر يكشف عن جسدها أكثر مما يستر، وقالت بلهفة :

ـ حسناً؟!

ونهض (بوارو) وقال وهو يصافحها :

ـ تماماً يا سيدتي . . حسناً . .

ـ هل تعني إنه . . إنه . . . !

ـ إن اللورد «أدجوير» مستعد تماماً للموافقة على الطلاق فوراً . .

وارتسمت الدهشة البالغة على وجه «جين» . . وتأكدت من أنها دهشة حقيقية، إلا إذا كانت ممثلة خارقة المواهب، وأخيراً قالت :

ـ آه . . لقد عرفت يا سيد (بوارو) كيف تنجح في مهمتك . . إنك رجل ساحر بلا شك. ولكن . . كيف بحق السماء استطعت أن تنجح في هذه المهمة العسيرة، وبمثل هذه السرعة؟!

فقال (بوارو) مرتبكاً :

ـ الواقع أنني لم أفعل شيئاً يا سيدتي. لسبب بسيط، وهو إن زوجك أرسل إليك منذ ستة أشهر خطاباً يعرب فيه عن استعداده لمنحك الطلاق في أي وقت . . !

ـ ماذا تقول؟. . كتب خطاباً وأرسله إلي؟. . أين؟. .

ـ عندما كنت في هوليوود. .

ـ إن هذا الخطاب لم يصلني قط. . لا شك أنه ضاع في الطريق. . أيمكن أن يحدث هذا بينما أعيش كل هذه الأشهر وأنا في حالة يرثى لها من القلق والارتباك واللهفة على الطلاق؟!

ـ كان اللورد «أدجوير» يعتقد في أول الأمر أنك تنوين الزواج من ممثل. .

فأرسلت إلى (بوارو) ابتسامة لطيفة، وقالت:

ـ طبعاً. . هذا ما زعمته له. .

ثم تحولت الابتسامة إلى قلق شديد، وهي تسأل فجأة:

ـ سيد (بوارو). هل أخبرته عن مشروع زواجي بالدوق «ميرتون»؟. .

ـ لا. . لا. . اطمئني من هذه الناحية. . إنني عادة لا ألقي الكلام جزافاً. .

فتنهدت «جين» بارتياح وقالت:

ـ أحسنت. . إن اللورد دنيء الطبع، ولن يرضيه طبعاً أن أتحرر منه لأتزوج شاباً أكثر مالاً، وأرفع مركزاً، وأصغر سناً منه. . ولكنني مندهشة. . نعم. . مندهشة جداً. . «اللييس». . ألست مندهشة أيضاً؟!

وكنت قد لاحظت أن الوصيفة لم تغادر الغرفة، وإنما راحت تتظاهر بالعمل في جوانبها وهي ترهف السمع جيداً. ولكنني أدركت أن «جين» بتوجيه هذا السؤال الأخير إليها، تضع فيها كل ثقتها. .

وقالت الوصيفة رداً عليها:

ـ نعم يا سيدتي. . لا شك أن فخامته قد تغير كثيراً منذ عرفناه.

ـ لا شك في هذا. .

وقال (بوارو) لـ «جين»:

ـ يبدو أن تصرفه هذا قد أدهشك جداً يا سيدتي. .

ـ نعم، بكل تأكيد. . ولكن ماذا يهمنا مادام قد تغير لصالحنا؟

ـ إذاً كم يهمك هذا، فإنه يهمني جداً يا سيدتي. .

ولم تحفل «جين» بعبارته هذه، وإنما قالت:

ـ إذن فقد أصبحت حرة.. طليقة..!

ـ ليس الآن يا سيدتي..

فنظرت إليه بصبر نافذ وقالت:

ـ حسناً، لسوف أظفر بحريتي قريباً.. والأمر سواء.. ولما هز (بوارو) كتفيه، قالت هي مستطردة:

ـ إن الدوق في باريس، ويجب أن أرسل إليه برقية فوراً.. لاشك أن أمه سوف تثور غضباً..

ونهض (بوارو) قائلاً:

ـ إنني سعيد يا سيدتي لأن الأمور تطورت إلى ما يرضيك..

ـ طاب يومك يا سيد (بوارو) وإني جد شاكرة لك هذا الصنيع..

ـ أنني لم أفعل شيئاً..

ـ حسبك أنك حملت إلي هذه الأنباء السعيدة..

وقال لي (بوارو) بعد أن غادرنا الفندق:

ـ هكذا هي جين دائماً.. لا يهمها إلا نفسها.. إنها لم تحاول أن تعرف مثلاً لماذا لم يصلها خطاب اللورد؟.. هل حدث هذا مصادفة، أو على يد شخص مجهول أراد أن يخفيه عنها لسبب ما؟ هذا يدل على أنها محرومة من القدرة على تركيز الفكر.. حسناً.. إن الطبيعة عادة لا تمنح الإنسان كل شيء

فقلت بخبث:

إلا (هيركيول بوارو)!!

فقال جاداً:

ـ إنك تسخر من نفسك على حسابي يا صديقي.. حسناً.. هلم تمضي إلى كورنيش النهر لأني أريد أن أرتب أفكاري وأسلسلها..

وبقيت صامتاً حتى ينتهي من عملية ترتيب أفكاره.. فلما حان الوقت ليتحدث، قال ونحن نذرع الكورنيش جيئة وذهاباً:

إن مسألة الخطاب هذه تثير فضولي جداً.. وأعتقد أن هناك أربعة مبررات أو تفسيرات في هذا الشأن..

ـ أربعة؟!

ـ نعم يا صديقي.. التفسير الأول أنه ضاع في البريد. وهذا ما يحدث أحياناً كما نعلم، ولكن نسبة حدوثه قليلة جداً، بل ونادرة.. وأكثر من هذا فلو أن العنوان كان خطأً، لعاد الخطاب إلى المرسل.. ولهذا فإنني لا أميل إلى هذا التفسير، رغم احتمال وقوعه..

وبعد برهة صمت، عاد (بوارو) يقول:

ـ والتفسير الثاني هو أن تكون سيدتنا الجميلة كاذبة في قولها إنها لم تتسلم الخطاب، وهذا أيضاً محتمل.. والواقع أن هذه السيدة الجذابة قادرة على الكذب؟ بكل بساطة، مادام يحقق غرضاً لها.. ولكنني لا أرى أي غرض يمكن أن تحققه «جين» عن طريق هذا التصرف، وإذا كانت تعرف أنه على استعداد لتطليقها، فلماذا أرسلتني إليه؟!

ومرة أخرى صمت قبل أن يستطرد قائلاً:

ـ والتفسير الثالث هو أن اللورد «أدجوير» كاذب.. وأنا أعتقد أن رذيلة الكذب ألصق باللورد «أدجوير» منها بزوجته. ولكنني لا أرى أيضاً الهدف الذي يمكن تحقيقه عن طريق هذا الإدعاء.. فهو إذا كان يريد أن يطلقها، فلماذا يزعم أنه أرسل إليها خطاباً بهذا المعنى؟.. لا شك أنه أرسل فعلاً هذا الخطاب، ولكننا لا نعرف السبب الذي جعله يغير رأيه فجأة بعد أن كان مصراً على حرمانها من الطلاق..

وبعد أن سرنا خطوات قليلة في صمت، قال:

ـ وهكذا نصل إلى التفسير الرابع، وهو محاولة شخص ما إخفاء هذا الخطاب عن «جين».. فإذا صح هذا التفسير، فلا شك أن الشخص الذي أخفى هذا الخطاب ـ سواء في لندن، أم في هوليوود ـ يهمه ألا يتم طلاق «جين» من زوجها اللورد.. إن في الأمر شيئاً يا صديقي «هاستنج» ومن حسن الحظ أنني قد بدأت أرى بصيصاً من الضوء في هذا الأمر..



الفصل الخامس

الجريمة

كان اليوم التالي هو الثلاثون من شهر تموز.

وكانت الساعة قد بلغت التاسعة والنصف عندما قيل لنا إن المفتش «جاب» حضر لزيارتنا.

وكان قد مضى علينا بضع سنوات منذ آخر اتصال لنا بإدارة اسكتلانديارد. ولهذا قال (بوارو) في دهشة:

ـ عجباً! .. ما الذي دفع «جاب» إلى الحضور اليوم؟

ـ لا شك أنه في حاجة إلى مساعدتك للخروج من مشكلة معقدة..

ولما أقبل «جاب» وتبادلنا معه التحية، قال له (بوارو):

ـ ماذا وراءك يا عزيزي المفتش؟ .. جريمة؟..

ـ نعم.. لقد قتل اللورد «أدجوير» في قصره في الليلة الماضية .. طعنته زوجته بمبراة في عنقه..!

فهتفت قائلاً:

ـ زوجته؟!

ثم تذكرت فجأة حديث «بريان مارتن» عن استعداد «جين» لارتكاب أية جريمة قتل إذا لزم الأمر.. فهل كان يتنبأ بما سوف يحدث؟! وتذكرت أيضاً حديث «جين» نفسها عن استعدادها لركوب سيارة مأجورة والذهاب إلى زوجها لتقتله، إذا أصر على عدم منحها الطلاق.. فهل فعلت هذا أخيراً؟

خطر هذا بذهني بينما كان «جاب» يستطرد في حديثه قائلاً:

ـ نعم، إنها الممثلة المعروفة «جين ويلكنسون».. تزوجته منذ ثلاثة أعوام ولكنها هجرته منذ عامين تقريباً..

وقال (بوارو) وهو لا يخفي دهشته البالغة :

ـ ما الذي جعلك تعتقد أن زوجته هي القاتلة؟!

ـ لا مجال هنا للاعتقاد أو الظن. . فقد عرف أمرها، ولم تحاول هي أن تخفي شخصيتها، لقد ركبت سيارة مأجورة. .

فهتفت قائلاً رغماً عني :

ـ سيارة مأجورة؟!

واستمر «جاب» في حديثه قائلاً :

ـ وصلصلت الجرس، وسألت عن اللورد «أدجوير». . وكانت الساعة العاشرة مساء. وطلب منها التشريفاتي أن تنتظر، ولكنها قالت له بكل هدوء « لا داعي للانتظار. فأنا الليدي «أدجوير» وأعتقد أنه في المكتبة، ثم سارت قدماً إلى باب المكتبة، وفتحته، ودخلت، وأغلقت وراءها. .

وصمت المفتش برهة قبل أن يستطرد قائلاً :

ـ ورغم دهشة التشريفاتي، فإنه لم يستطع أن يفعل شيئاً، ومضى إلى غرفته. . وبعد عشر دقائق تقريباً سمع الباب الخارجي للقصر يغلق، فأدرك أن الليدي «أدجوير» لم تمكث طويلاً. . ومن ثم أغلق الباب الخارجي من الداخل في نحو الحادية عشرة، وذهب إلى المكتبة، وفتح بابها، فوجدها غارقة في ظلام حالك. . ومن ثم ظن أن سيده غادرها إلى فراشه. ولكن الخادمة اكتشفت في هذا الصباح جثة سيدها في المكتبة مقتولاً بطعنة مبراة في عنقه. . !

ـ ألم يسمع أحد صيحة. . أو أي شيء؟!

ـ لا. . أن أبواب المكتبة عازلة للصوت كما تعلم، هذا عدا حركة المرور في الشارع خارج القصر. والواضح أن الطعنة أدت إلى مقتله فوراً. لقد نفذت المبراة، كما قال الطبيب، إلى مقتل عن طريق الجهاز العصبي المار بالعمود الفقري. . وبمعنى آخر، كان القاتل يعرف ماذا يفعل!

فقال (بوارو) مفكراً :

ـ أي إنه على إلمام بالشئون الطبية. . ؟!

ـ نعم.. وهذه نقطة في مصلحتها. ولكن ليس من المستبعد أن تلعب المصادفة دورها في هذه الحالة.. أي إن الحظ ساعدها في إصابته على هذا النحو، وكثيراً ما يساعد الحظ البعض، حتى في ظروف كهذه..

فقال (بوارو):

ـ ولكنه لن يكون حظاً سعيداً إذ انتهى بها الأمر إلى حبل المشنقة..

ـ طبعاً، طبعاً.. والواقع أنها كانت حمقاء في ارتكابها الجريمة على هذا النحو الساذج.. أي في ذهابها علناً، وذكر اسمها للتشريفاتي..

ـ هذا شيء يثير العجب فعلاً..

ـ ولكن لعلها لم تكن تقصد أن تقتله.. ربما تشاجرا بعنف فأخرجت المبراة من حقيبة يدها وأغمدتها في عنقه..

ـ أكانت مبراة فعلاً..؟

ـ هكذا يقول الطبيب.. إنها مدية مكتب أو شيء من هذا القبيل.. وأياً كانت، فقد أخذتها معها.. أي أنها لم تتركها في الجرح..

فهز (بوارو) رأسه مرتاباً وقال:

ـ لا أعتقد أن «جين ويلكنسون» يمكن أن تفعل هذا. إن مثلها لا يحمل مبراة معه.

ـ هل تعرفها يا سيد (بوارو)؟!..

ـ نعم!..

ـ إذن فإن لديك شيئاً تخفيه عني..

وهنا قال (بوارو):

ـ ولكنك لم تخبرني أولاً لماذا جئت إلي؟.. إن الجريمة كما تبدو لك واضحة، والمجرم معروف، والدافع إليها معروف أيضاً.. ما هو الدافع الحقيقي ـ في رأيك ـ بهذه المناسبة..؟

ـ الخلاص من زوجها لتتزوج رجلاً آخر.. لقد سمعها كثيرون تقول هذا منذ أسبوع، وسمعوها أيضاً وهي تهدد بقتل زوجها إذا عارض في منحها الطلاق.. قالت إنها لن تتردد في الذهاب إليه بسيارة مأجورة والقضاء عليه..

فقال (بوارو):
- يبدو أن هناك من تطوع للإدلاء بمثل هذه المعلومات الخطيرة؟!
ولكن «جاب» كان شديد الحذر في قوله:
- إن مهمتنا أن نصل إلى مثل هذه المعلومات بأية وسيلة..
ومرت لحظات من الصمت، قطعها (بوارو) بقوله:
- إنك لم تخبرني لماذا جئت إلي يا «جاب»؟!..
- لأني سمعت أنك زرت اللورد «أدجوير» أمس ظهراً..
- نعم..
- وبمجرد أن علمت هذا، قلت لنفسي: آه.. لا بد أن في الأمر سراً؟ لماذا أرسل اللورد للسيد (بوارو)؟.. هل كان يشعر بخطر يتهدده؟ وما هو هذا الخطر؟ ومن ثم قررت أن آتي لزيارتك قبل أن أتخذ خطوات حاسمة..
- ماذا تعني بقولك «خطوات حاسمة»؟. هل تعني القبض على الليدي «أدجوير»؟!
- تماماً..
- ألم ترها بعد؟
- رأيتها.. ذهبت لزيارتها في فندق سافوي بمجرد أن علمت بنبأ الجريمة..
وتألقت عينا (بوارو) بنظرات غامضة، وهو يسأل قائلاً:
- وماذا قالت لك ياصديقي؟.. ماذا قالت؟..
- أصيبت بحالة هستيرية، وراحت تتدحرج على الأرض، وتقوم بكل ما ينتظر أن تقوم به ممثلة بارعة حين تعلم بنبأ مصرع زوجها..
- إذن فأنت تعتقد إنها كانت تمثل دور الزوجة المفجوعة في زوجها؟..
فغمز.. «جاب» بعينيه، وقال:
- نعم. لقد تظاهرت بالإغماء، وأستطيع أن أقسم أنها لم تفقد وعيها لحظة واحدة.
- حسناً.. وماذا فعلت بعد ذلك؟
- أفاقت، أو تظاهرت بأنها أفاقت من إغمائها.. ثم طلبت استدعاء محاميها الخاص قائلة إنها لن تدلي بأية أقوال إلا أمام محاميها الخاص.. ثم أتيت إليك لازداد يقيناً بقوة الأرض التي أقف عليها..
- إذن فأنت موقن بأنها الجانية؟!
- كل اليقين.. ولكنني أحب في الوقت نفسه أن أجمع أكبر قدر ممكن من الأدلة.

لأن مثل هذه القضية سوف تثير ضجة هائلة بسبب مركز المجني عليه وشهرة الجانية..
ولا شك أن جميع الصحف سوف تتسابق في نشر جميع التفاصيل..

وكان (بوارو) في تلك اللحظة يعبث بصحيفة الصباح الموضوعة على مائدة الإفطار أمامنا.. وفجأة انحنى على الصحيفة، وقال وهو يضع إصبعه على خبر واضح في عمود الاجتماعيات:

ـ بمناسبة الحديث عن الصحافة والصحف.. ما رأيك في هذا الخبر يا سيد «جاب» الصحيفة، وراح يقرأ ما يلي:

«أقام أمس السيد «مونتاج كورنر» حفلة عشاء فاخرة بقصره المطل على النهر بمنطقة شيزويك. وكان من بين المدعوين السيد «جورج» والليدي «دي فيز» والناقد المسرحي الكبير السيد «جيمس بلنت» والسيد «أوسكار هامر فيلد» مدير ستوديوهات أوفرنون، والسيدة جين ويلكنسون «الليدي أدجوير» وغيرهم..»

وعقدت الدهشة لسان المفتش «جاب» لحظة.. ولكنه تمالك نفسه بسرعة وقال:

ـ وماذا في هذا؟!.. لقد أرسل الخبر للنشر بالصحيفة قبل الحفلة. وهذا إجراء طبيعي، وأؤكد لك أنك ستعرف بعد قليل أن الليدي أدجوير لم تكن موجودة بالحفلة، أو على أكثر تقدير، وصلت إليها متأخرة، أي بعد الحادية عشرة..

ـ نعم.. نعم.. هذا محتمل..

ـ ولكنك لم تخبرني بعد يا سيد (بوارو) لماذا أرسل اللورد أدجوير لاستدعائك؟

ـ إنه لم يفعل.. وإنما أنا الذي طلبت مقابلته..

ـ أحقاً؟.. ولماذا؟..

ـ سوف أجيب على سؤالك، ولكن بطريقتي الخاصة.. وأرجو أن تسمح لي باستدعاء شخص ما تليفونياً..

ـ من؟!..

ـ السيد «بريان مارتن»..

ـ النجم السينمائي؟.. ما علاقته بالأمر؟!..

ـ أعتقد أنك ستظفر منه بمعلومات تفيدك جداً. أرجوك يا هاستنج أن

تستدعيه تليفونياً.

وعرفت من دليل التليفون أن «بريان مارتن» يقيم في شقة بعمارة ضخمة بالقرب من حدائق سانت جيمس. ولما أدرت الـ القرص على الرقم «فكتوريا 49499» سمعت بعد لحظات صوته الذي كان ينم على أنه استيقظ من النوم في تلك اللحظة . .

ـ هاللو . . من المتحدث!

ووضعت يدي على البوق، وهمست قائلاً لـ (بوارو) :

ـ ماذا أقول له؟

ـ قل له إن اللورد «أدجوير» مات مقتولاً، وإننا نرجو منه أن يتفضل بالحضور إلينا برهة

ـ ولما كررت هذه الكلمات للسيد «بريان» هتف قائلاً :

ـ يا للسماء . . ! إذن فقد فعلتها؟! لسوف آتي حالاً . .

وقال لي (بوارو) بعد أن وضعت المسماع :

ـ ماذا قال لك؟!

ولما أخبرته، قال بصوت الإنسان الذي سره شيء :

ـ آه . . إذن فقد فعلتها؟ . . هل قال هذا؟ حسناً . . لقد كنت أتوقع أن يقول هذا . . نعم . . كنت أتوقع أن يقول هذا . .

ونظر المفتش «جاب» إلي بفضول، وقال :

ـ إنني لا أكاد أفهم شيئاً ما سيد (بوارو) . . لقد أفهمتني أولاً أنك لا تعتقد أن في مقدور «جين» ارتكاب هذه الجريمة . . وها أنت الآن تبدو كأنك تعرف الشيء الكثير عن هذه الجريمة . . !

فابتسم (بوارو) ولم يقل شيئاً . .



الفصل السادس

الأرملة

وصل «بريان مارتن» في أقل من عشرة دقائق، وكان (بوارو) خلال هذه الفترة يتحدث في موضوعات بعيدة عن موضوع الجريمة، رافضاً بإصرار أن يرضي فضول المفتش «جاب». .

وكان واضحاً أن النبأ أزعج السيد «بريان» إلى حد كبير لأن سمات القلق كانت واضحة على وجهه الوسيم عندما أقبل علينا قائلاً وهو يتهالك على أقرب مقعد إليه :

ـ يا للسماء يا سيد (بوارو). . إنه لأمر مزعج، وإني لفي أشد حالات الارتباك، وإن كنت لم أدهش لما حدث. لقد كنت دائماً أخشى أن يقع شيء من هذا القبيل. . ولعلك تذكر حديثنا بالأمس. . فقال (بوارو) :

ـ نعم. . نعم. . إنني أتذكر تماماً ما قلته لي أمس، دعني أعرفك بالمفتش «جاب» المكلف بتحقيق هذه الجريمة. .

فأرسل «بريان مارتن» نظرة عتاب إلى (بوارو) وقال :

ـ لم أكن أعرف هذا! . . وكان ينبغي أن تحذرني يا سيد (بوارو). .

ثم أطبق شفتيه بعد أن أومأ ببرود للمفتش. . ولكنه لم يلبث أن عاد يقول في لهجة احتجاج :

ـ إنني لا أدري لماذا استدعيتني؟ . . ما شأني أنا بهذه الجريمة؟

ـ أعتقد أن لك شأناً بها. . أليست «جين ويلكنسون» زميلة لك؟

ـ نعم . . بل وصديقة حميمة أيضاً. . اللعنة على كل شيء. .

ـ ومع ذلك فقد أدركت فوراً من الجاني بمجرد سماعك لنبأ الجريمة.

فهتف «بريان مارتن» وهو يكاد يفقد صوابه من فرط الانزعاج

ـ هل تريد أن تقول إنني. . إنني مخطىء في حدسي، وإنها ليست الجانية؟ !

وهنا قال المفتش «جاب» :

ـ لا . . لا . . يا سيد «مارتن» . . إنها هي الجانية فعلاً . . وتراخى الشاب في مقعده، وهو يقول :

ـ لقد ظننت أنني ارتكبت غلطة رهيبة باتهامي لها . .

وقال (بوارو) مواسياً :

ـ إن الإنسان مضطر لأن يضع الصداقة جانباً في أمر كهذا؟

ـ نعم . . نعم . . بلا شك، ولكن . .

ـ ولكن ماذا يا صديقي؟ . . هل تريد أن تقف بجانب امرأة ارتكبت أبشع جريمة في الوجود . .

وتنهد «بريان» قائلاً :

ـ إنك لا تعرف الحقيقة عن «جين» . . إنها لا يمكن أن تكون قاتلة بالمعنى المعروف . . كل ما في الأمر أنها لا تعرف الصواب من الخطأ. والمؤكد أنها غير مسئولة عما حدث . .

وهنا قال «جاب» :

ـ هذه مسألة يبت فيها المحلفون . .

وقال (بوارو) :

ـ أيا كان الأمر، فإنك لا تتهمها بشيء يا سيد «مارتن»؛ إن الاتهام مركز عليها الآن، وأعتقد أن واجبك نحو المجتمع يحتم عليك أن تخبرنا بكل ما تعرف . .

وتنهد «بريان مارتن» مرة أخرى وقال :

ـ أعتقد أنك على حق . . ماذا تريد أن تعرف مني؟

ونظر (بوارو) إلى «جاب» الذي قال :

ـ هل سبق أن سمعت الليدي «أدجوير» أعني السيدة «جين ويلكنسون» تهدد بقتل زوجها؟

ـ نعم . . مرات عديدة . .

ـ ماذا قالت؟ . .

ـ قالت إنها لن تتردد في القضاء عليه إذا لم يمنحها الطلاق. .

ـ ولم تكن في هذا عابثة أو هازلة؟!. .

ـ لا. . أعتقد أنها كانت جادة إلى أقصى حد. . وذات مرة قالت إنها سوف تمضي في سيارة مأجورة إلى زوجها وتقتله. . ولعلك سمعتها وهي تقول هذا يا سيد (بوارو).

وأوما (بوارو) برأسه، بينما استطرد «جاب» في أسئلته قائلاً:

ـ لقد علمنا يا سيد «مارتن» أنها تريد أن تتزوج من رجل آخر، فمن هو هذا الرجل؟. . وهل تعرفه؟. .

ولما أومأ «بريان» برأسه، قال «جاب»:

ـ من هو؟. .

ـ إنه الدوق «ميرتون». .

فهتف المفتش قائلاً:

ـ الدوق «ميرتون». . يا للسماء!. . إنها تريد أن تحلق عالياً في سماء المجتمع؟. . إن الدوق «ميرتون» من أغنى أغنياء انجلترا. .

وكان (بوارو) في تلك الفترة مسترخياً في مقعده، وكأنه رجل وضع في «الجرامفون» أسطوانة «محبوبة»، وراح يستمتع بسماعها. . ولم أستطع ـ بطبيعة الحال ـ أن أفهم سر ابتهاجه الخفي بما يجري أمامه. .

وعاد «جاب» يقول:

ـ وكان زوجها يرفض أن يطلقها. .؟!

ـ نعم. . كان يرفض بإصرار. .

ـ أتعرف هذا عن يقين؟. .

ـ نعم. .

وهنا قال (بوارو) فجأة:

ـ أترى يا سيد «جاب»؟. . أن دوري في المأساة يبدأ من هذه النقطة. لقد طلبت مني الليدي «أدجوير» أن أقابل زوجها لكي أغريه بالموافقة على الطلاق. . وقد تحدد موعد لقائي به في هذا الصباح. .

وهز «بريان مارتن» رأسه وقال:

ـ كانت مقابلته له ستؤدي إلى لا شيء. . إنه ما كان ليوافق على طلاقها مهما

حاولت معه . .

فنظر إليه (بوارو) ـ وقد علت وجهه ابتسامة خفيفة ـ وقال :

ـ أتعتقد هذا؟! . .

ـ بكل تأكيد . . وكانت «جين» تعرف هذا أيضاً، ورغم تكليفك بهذه المهمة، فقد كانت موقنة ـ في قرارة نفسها ـ أنك لن تنجح. والواقع أنها فقدت كل أمل في حصولها على الطلاق منه؟ وكان هو عنيداً في موقفه إلى حد الخبل . .

وتألقت عيناً (بوارو) فجأة بنظرات جادة وقال برفق :

ـ إنك مخطىء في هذا يا صديقي الشاب . . لقد قابلت اللورد «أدجوير» أمس، ووافق على الطلاق!

ولم يكن ثمة أدنى شك في قوة الصدمة التي أصابت «بريان مارتن» وعقدت لسانه، بحيث ظل برهة وهو عاجز تماماً عن النطق بأية كلمة. وبعد أن حملق في وجه (بوارو) بعينين جاحظتين، قال أخيراً بصوت متلعثم :

ـ أنت؟ . . أنت رأيت اللورد «أدجوير» أمس؟ . .

ـ في تمام الساعة الثانية عشرة والربع . .

ـ وقد وافق على طلاق «جين»؟! . .

ـ نعم . .

فهتف الشاب قائلاً :

ـ إذن كان ينبغي أن تخبر «جين» بهذه الحقيقة فوراً . . !

ـ وهذا ما فعلته يا سيد «مارتن»

فصاح «بريان» قائلاً :

ـ هل فعلت هذا؟! . .

ـ نعم . . ولا شك أن هذا يضعف الحافز على الجريمة إلى حد كبير . . أليس كذلك؟ . . والآن . . دعني ألفت نظرك إلى هذا يا سيد «مارتن» . .

ثم قدم إليه الخبر المنشور بالصحيفة . .

وقرأ «بريان مارتن» الخبر بغير اهتمام كبير، ثم قال :

ـ هل تعني أن هذا الخبر ينطوي على الدليل الأكيد على براءة «جين»؟. . إنني على ما أعتقد أعرف أن اللورد ضرب بالرصاص في مساء الأمس. . !

فقال (بوارو) :

ـ بل طعن بمبراة.

وأعاد «مارتن» الصحيفة وقال :

ـ أخشى ألا يفيد هذا «جين» في شيء. . إنها لم تذهب إلى تلك الحفلة أمس.

ـ كيف عرفت؟! . .

ـ لقد أخبرني بذلك شخص ما. .

فقال (بوارو) مفكراً :

ـ هذا من سوء الحظ. .

ونظر «جاب» إلى (بوارو) في دهشة وقال :

ـ إنني لا أفهمك يا سيد (بوارو). ! يبدو لي أنك لا تريد الآن أن تثبت التهمة على «جين»؟

ـ لا. . لا يا عزيزي المفتش. . ولكن هذه الجريمة ليست بالبساطة التي تظنها. . هذا هو رأي الخاص. .

ـ لماذا؟! . .

ـ لأننا أمام زوجة حسناء شابة تريد ـ كما نعلم جميعاً ـ الخلاص من زوجها. وأنا لا أناقش هذه النقطة، لأنها قالت لي هذا بصراحة. ولكن كيف كان موقفها في هذا الشأن؟. . لقد كررت القول بصوت مرتفع ـ وأمام عدد كبير من الناس ـ إنها تفكر في قتل زوجها. . ثم إذا هي تذهب ذات مساء، وتعلن عن شخصيتها للتشريفاتي الشاب، ثم تدخل وتطعن اللورد في مقتل وتنصرف. . فما معنى هذا؟. . هل يتفق هذا مع أبسط قواعد العقل والمنطق؟. .

ـ إنها تتفق مع الحماقة والتهور. . وهذا من حسن حظ رجال الشرطة. . والآن أرى أن أذهب إلى فندق سافوي. .

فقال له (بوارو) :

ـ هل تسمح لنا بالذهاب معك؟! . .

ولم يمانع «جاب» . . وأنصرف بريان مارتن وهو في حالة شديدة من الارتباك وتوتر الأعصاب. وطلب منا بإلحاح أن نخبره بأية تطورات جديدة قد تطرأ على الموضوع . .

وقال «جاب» بعد انصرافه :

إنه شاب متوتر الأعصاب جداً . .

ووافقه (بوارو) على هذا . .

وفي فندق سافوي وجدنا المحامي الذي استدعته «جين» ليقف بجانبها وفيما نحن نمضي معاً إلى جناحها الخاص، قال «جاب» لأحد رجاله :

ـ ألم يحدث شيء . . ؟

ـ لقد أرادت أن تتحدث تليفونياً .

ـ مع من؟! . .

ـ مع محلات جاي لتعد لها ثوب الحداد . .

وهز «جاب» كتفيه، ومضينا إلى غرفة الاستقبال في جناح «جيج» . . وهنا وجدناها تجرب ارتداء مجموعة من القبعات السوداء الفاخرة أمام المرآة. وكانت ترتدي ثوباً شفافاً من اللونين الأسود والأبيض . . وبعد أن حيتنا بابتسامة مشرقة، قالت :

ـ شكراً على مجيئك يا سيد (بوارو) .

ـ ثم التفتت إلى المحامي، وأردفت قائلة :

ـ وأنا سعيدة بحضورك يا سيد «موكسون» . . اجلس بجانبي وأخبرني عن الأسئلة التي ينبغي أن أجيب عليها، فإن هذا الرجل يعتقد أنني قاتلة زوجي في هذا الصباح . . !

ـ في الليلة الماضية يا سيدتي . .

ـ لقد قلت إن الجريمة وقعت في العاشرة صباحاً . .

ـ بل مساء . .

ـ حسناً . إنني في الواقع لا أكاد أعرف صباحي من مسائي . . فقال المفتش بحدة :

ـ إننا الآن بعد العاشرة صباحاً بقليل . .

ـ أهكذا؟ . . لقد ظننت أننا في الخامسة بعد الظهر؟ . . الواقع أنني لم أستيقظ في

مثل هذه الساعة المبكرة منذ سنوات.. وهنا قال المحامي «موكسون» :

ـ لحظة واحدة من فضلك يا سيد «جاب». متى وقعت الجريمة على وجه التقريب؟

ـ في نحو العاشرة مساء أمس..

قالت «جين» بلهفة :

ـ عجباً.. لقد كنت في هذا الوقت في حفلة عشاء.. أوه.. أما كان ينبغي أن أقول هذا يا سيد «موكسون»؟

وقال المحامي :

ـ لا.. لا.. مطلقاً.. ما دمت قد كنت في حفلة عشاء أمس في وقت وقوع الجريمة، فلابد أن تقولي هذا للمفتش..

ـ الواقع أنني لم أستطع أن أقول شيئاً للمفتش عندما حمل إلي النبأ الأليم، لأني سقطت مغشياً علي..

وماذا عن حفلة العشاء أمس ؟..

ـ كانت في بيت السير «مونتاج كورنر» في تشيزويك..

ـ ومتى ذهبت إليها؟..

ـ كان الموعد المحدد للعشاء في الثامنة والنصف..

ـ أقصد متى غادرت الفندق إلى الحفلة؟

ـ غادرته في نحو الثامنة، وهبطت في فندق بيكاديللى بالاس لأودع صديقة أمريكية، كانت على وشك السفر إلى أمريكا، وهي السيدة «فان ديزين» ووصلت إلى تشيزويك في التاسعة إلا الربع..

ـ ومتى غادرت الحفلة؟..

ـ في نحو الحادية عشرة والنصف..

ـ وهل جئت إلى هنا مباشرة؟

ـ نعم..

ـ في سيارته مأجورة؟

ـ بل في سيارة ملاكي استأجرتها من محل ديملر..

ـ ألم تغادري الحفلة فيما بين التاسعة والحادية عشرة والنصف؟

ـ الواقع أنني. .

ـ إذن فقد غادرتها؟! . .

وبدا «جاب» عندئذ مثل كلب الصيد، وهو يتحفز للانقضاض على الفريسة. . أما «جين» فقد قالت :

ـ إنني لا أفهم ماذا تعني. . لقد طلبت للحديث تليفونياً أثناء تناول العشاء. .

ـ من الذي طلبك؟. .

ـ أعتقد أن الأمر كان مجرد دعابة. . فقد سمعت حين أمسكت المسماع صوتاً يقول : أهذه أنت ياليدي «أدجوير»؟! فقلت «نعم. . أنا» وعندئذ سمعت ضحكة أعقبها انقطاع المحادثة. .

ـ هل غادرت البيت لتتحدثي في التليفون؟. .

ـ لا طبعاً. .

ـ ما هي المدة التي غبت فيها من العشاء؟

ـ نحو دقيقة ونصف. .

وتهالك «جاب» في مقعده، وهو مقتنع تماماً أنها كاذبة في كل كلمة قالتها. . ولكنه لم يكن يستطيع أن يثبت كذبها في تلك اللحظة. .

وبعد أن شكرها، انصرف من الفندق. .

وقالت «جيج» لـ (بوارو) عندما هممنا نحن أيضاً بالانصراف :

ـ سيد (بوارو)! . . هل يمكن أن تؤدي خدمة لي؟! . .

ـ بكل تأكيد يا سيدتي. .

ـ أرجوك أن ترسل برقية نيابة عني إلى الدوق «ميرتون» في باريس. . إنه مقيم بفندق كريللون. . ولابد أن يعرف ما حدث . . وأنا لا أحب أن أرسلها بنفسي، لأني أعتقد أن واجبي يحتم علي الآن أن أبدو في سمت الأرملة الحزينة. . !

فقال (بوارو) :

ـ لا داعي لإرسال مثل هذه البرقية يا سيدتي، لأن الصحف سوف تنشر الحادث بالتفصيل. .

ـ آه.. نعم..نعم.. سوف تثير الصحف ضجة هائلة بسبب هذا الحادث..
ويجب أن أتصرف كما ينبغي أن تفعل أية واحدة في مثل موقفي. نعم، لا داعي لإرسال برقية.. وأعتقد أنه لابد لي من حضور الجنازة..

ـ يجب أولاً أن تحضري جلسة التحقيق..

ـ آه، صدقت.. ولكنني لا أميل إلى هذا المفتش الموفد من اسكتلانديارد، إنه يفزعني بتصرفاته..!

ـ نعم..

ـ يبدو أني كنت سعيدة الحظ حين غيرت رأيي وذهبت إلى الحفلة..

وكان (بوارو) قد وصل إلى الباب، فلما سمع هذه العبارة، استدار بسرعة وقال:

ـ ماذا تقولين يا سيدتي؟.. غيرت رأيك؟!..

ـ نعم.. كنت أنوي أن أعتذر عن الذهاب في اللحظة الأخيرة لأنني كنت أعاني من صداع شديد بعد ظهر أمس..

وغص (بوارو) بريقه مرة أو مرتين، وبدأ أن لسانه عاجز عن الحديث، ولكنه استطاع أخيراً أن يقول:

ـ هل قلت هذا لأحد؟

ـ بالتأكيد.. لقد تناولت الشاي مع عدد كبير من الناس، وأرادوا أن أذهب معهم إلى حفلة كوكتيل.. ولكنني رفضت قائلة إن رأسي توشك أن تتصدع، وإني سآوي فوراً إلى جناحي، ثم أعتذر عن حفلة العشاء.

ـ ولماذا غيرت رأيك؟..

ـ لقد عاتبتني وصيفتي «الليس» قائلة إنه لا ينبغي أن.. أعتذر إطلاقاً عن دعوة السير «مونتاج» لسبب بسيط كهذا.. وقالت إن السير «مونتاج» رجل واسع النفوذ، وإنه من الأشخاص الذين لا يقبلون مثل هذه الأعذار ببساطة. ومن ثم سيعتبر تخلفي عن حفلته استهانة بأمره.. ولكنني مع هذا كله لم أهتم، لأنني حينما أتزوج الدوق «ميرتون» سيضطر الجميع إلى تملقي والتماس الأعذار لكل هفواتي.. غير أن «الليس» أقنعتني بأن أكون مع الجانب الأسلم، قائلة إن الإنسان

لا يستطيع أن يضمن المستقبل، وأخيراً غيرت رأيي وذهبت. .

وعندئذ قال (بوارو) بلهجة جادة :

ـ لقد أسدت إليك «الليس» جميلاً لا ينسى. .

فأومأت «جين» برأسها وقالت :

ـ أعتقد هذا. . لأن ذلك المفتش ما كان ليتردد في القبض علي الآن، لو لم أذكر له أنني كنت في هذه الحفلة عند وقوع الجريمة. .

ثم أرسلت ضحكة عصبية. .

وقال (بوارو) بوجه مقطب السمات :

ـ إن ما حدث على أية حال يدعو إلى التفكير العميق. . نعم، إلى التكفير العميق. .

ونادت «جين» على وصيفتها قائلة :

ـ «الليس»! . .

ولما أقبلت الوصيفة من الغرفة الثانية، قالت لها «جين» :

ـ يقول السيد (بوارو) أنك أسديت إلي جميلاً لا ينسى، بإقناعك لي بالذهاب إلى الحفلة أمس. .

فقالت «الليس» بوجه جاد، دون أن تلقي نظرة على (بوارو) :

ـ إنني لا أحب التخلف عن المواعيد إطلاقاً. . وأنت تحبين هذا، وكأنها هواية ممتعة. . إن كثيراً من الناس لا يغفرون للذين يتخلفون عن مواعيدهم. .

وتناولت «جين» إحدى القبعات واستأنفت عملية التجارب وهي تقول :

ـ إنني أكره الملابس السوداء. . ولهذا لا أرتديها أبداً، ولكن لا بد لي من أن أرتديها لأبدو في سمت الأرملة المثلى. حسناً. . إن هذه القبعات كلها قبيحة المنظر. . اتصلي يا «الليس» تليفونياً بالمحل الآخر.

وعندئذ غادرت مع (بوارو) الجناح بهدوء. .



الفصل السابع

السكرتيرة

أقبل المفتش «جاب» بعد ساعة، وألقى بنفسه على أقرب مقعد وقال في صوت ينم عن الضيق والارتباك :

ـ إنني أكاد أجن . .

ـ هل تحريت عن أقوال «جين ويلكنسون»؟

ـ نعم . . وشهد أربعة عشر مدعواً من كبار الشخصيات بأن الليدي «أدجوير» كانت موجودة بينهم فيما بين التاسعة إلا الربع والحادية عشرة والنصف، فيما عدا اللحظات التي تحدثت خلالها في التليفون . .

وبعد برهة صمت قال :

ـ إنني لا أخفي عنك هذه الحقيقة يا سيد (بوارو) . . لقد كنت أتوقع أن أجد أمامي جريمة واضحة متكاملة العناصر؟ ذلك لأني أرى أنه ليس هناك شخص آخر يمكنه قتل اللورد «أدجوير» إلا زوجته . . كما أن الحافز على الجريمة واضح جداً بالنسبة لها .

ـ هذا ليس رأيي . . ومع ذلك استمر . .

ـ ولكن وجودها في الحفلة أمس ـ في وقت وقوع الجريمة ـ أفقدني كل أمل في إثبات التهمة عليها . .

ـ هل عرفت من الذي اتصل بها تليفونياً أثناء وجودها في الحفلة . . أعني هل كان الصوت لرجل أم لامرأة؟

ـ أذكر أنها قالت إن الصوت لامرأة؟

ـ هذا عجيب . .

فقال «جاب» بصبر نافذ :

ـ والأسوأ من هذا أن المسؤولين في فندق بيكاديللى بالاس شهدوا أنها وصلت إلى

الفندق في نحو الثامنة والربع، وأنها غادرته في نحو الثامنة والنصف.. وكذلك شهد مدير محلات ديملز أنها استأجرت السيارة الملاكي من محلاته، وقال سائق السيارة إنه أوصلها من مقر الحفلة في الحادية عشرة والنصف إلى فندق سافوي في الثانية عشرة..

ـ إذن فليس أمامك إلا أن تعترف بأنها بريئة من ارتكاب هذه الجريمة؟!

ـ ولكن ماذا عن هذين الاثنين اللذين رأياها في قصر اللورد «أدجوير»؟.. لقد شهدت السكرتيرة أنها رأتها أيضاً.. وأن الاثنين ـ السكرتيرة والتشريفاتي ـ يقسمان على أن السيدة التي حضرت أمس لمقابلة اللورد هي الليد «أدجوير» زوجته..

فقال (بوارو):

ـ منذ متى يعمل التشريفاتي في قصر اللورد؟

ـ منذ ستة أشهر.. وهو شاب وسيم جداً..

ـ حسناً.. إذا كان لم يلتحق بخدمة اللورد إلا منذ ستة أشهر فهذا يعني أنه لا يعرف الليدي «أدجوير» لأنه لم يرها من قبل..!

ـ ربما كان يعرفها من الصور المنشورة لها في الصحف.. وعلى كل حال، فإن السكرتيرة تعرفها جيداً لأنها تعمل مع اللورد منذ خمس أو ست سنوات..

ـ آه.. إنني أحب أن أرى هذه السكرتيرة..

ـ حسناً.. يمكنك أن تأتي لرؤيتها الآن..

ـ شكراً.. وأرجو ألا تمانع في وجود «هاستنج» معنا..

ـ الواقع أن أية دعوة توجه إليك، هي في الوقت نفسه موجهة للكابتن «هاستنج»..

وقال «جاب» ونحن في الطريق إلى قصر اللورد:

ـ إن هذا يذكرني بقضية «اليزابيث كاننج».. هل تذكرها.. أتذكر كيف أن عشرة على الأقل من الشهود ـ في كل من الجانبين شهدوا بأنهم رأوا الغجرية «مارى سكوير» في مكانين مختلفين في وقت واحد بانجلترا؟.. وكانوا جميعاً من الشهود المحترمين الموثوق بهم.. هذا مع العلم بأنه لم يكن من الميسور أن يكون لها شبيهة بذلك الوجه الرهيب الدميم.. إن الغموض في تلك الجريمة لم ينكشف قط، وكذلك الأمر هنا.. فها نحن أمام فريقين من الشهود كل منهما مستعد لأن يقسم بأنه رأى «جين ويلكنسون»

في مكان يختلف عن المكان الذي رآها فيه الفريق الآخر، في نفس الوقت.. فأي الفريقين نثق بشهادته؟

ـ قد يكون من العسير أن نعرف الإجابة عن هذا السؤال..

ـ هذا رأيك.. ولكن تلك المرأة ـ الآنسة «كارول» ـ تعرف الليدي «أدجوير» تمام المعرفة.. أعني أنها عاشت معها تحت سقف واحد نحو سنة على الأقل، يوماً بعد يوم.. وليس من المحتمل إطلاقاً أن تخطىء في أمر خطير كهذا..

ـ لسوف نعرف الحقيقة سريعاً..

وسألت أنا:

ـ من الذي سيرث اللقب والممتلكات؟!

ـ ابن أخي اللورد الراحل، الكابتن «رونالد مارش». وهو شاب متلاف كما أعلم.

وسأل (بوارو) قائلاً:

ـ ماذا قال الطبيب عن وقت حدوث الوفاة؟

ـ إننا ما زلنا في انتظار نتيجة تشريح الجثة، وتحليل بقايا الطعام في أمعاء المتوفي لنعرف على التحديد وقت حدوث الوفاة، ولكن الطبيب الشرعي يقول إن الوفاة حدثت ـ بصفة عامة ـ في نحو العاشرة، لأن اللورد فرغ من تناول عشائه بعد التاسعة بدقائق قليلة، ومضى إلى المكتبة حيث راح يشرب بضعة كؤوس من الويسكي بالصودا كالمعتاد. وفي الحادية عشرة، أوى التشريفاتي إلى مخدعه كما ذكر.. وهذا يعني أن الوفاة حدثت فيما بين التاسعة والنصف والعاشرة والنصف..

فقلت أنا:

ـ ربما حدثت بعد أن أوى التشريفاتي إلى مخدعه..

ـ لا.. لأنه قال ـ كما سبق أن ذكرت ـ أنه رأى غرفة المكتبة مطفأة الأنوار قبل أن يأوي إلى فراشه. وليس من المعقول أن يكون بها اللورد على قيد الحياة في تلك الحالة..

وبعد لحظات أخرى، وصلنا إلى مقر اللورد.. وفتح لنا الباب نفس التشريفاتي الوسيم، وتقدمنا المفتش «جاب» في الدخول، وتبعته مع (بوارو).. وكان الباب يفتح يساراً، ومن ثم وقف التشريفاتي إلى الجدار في تلك الجهة. وكان (بوارو) عن يميني ـ

وهو أقصر مني قامة ـ ولهذا لم يره التشريفاتي إلا بعد أن دخلت أنا أولاً . . ولشد ما كانت دهشتي حين سمعت شهقة خوف تند عن التشريفاتي الشاب، وحين رأيته يحملق في (بوارو) بعينين جاحظتين زاخرتين بالرعب! .

وقررت أن أحتفظ بهذه الملاحظة لنفسي، عسى أن تنفع . .

وتقدم «جاب» فوراً إلى غرفة المائدة الواقعة عن يمين الداخل ، واستدعى إليه التشريفاتي الوسيم، وقال له أمامنا :

ـ والآن يا «التون» أريد أن تحدثني بالتفصيل مرة أخرى عما تعرف . . لقد كانت الساعة العاشرة مساء عندما جاءت تلك السيدة . . أليس كذلك؟

ـ هل تعني الليدي؟ . . نعم، يا سيدي؟

فقال (بوارو) :

ـ وكيف عرفت أنها الليدي «أدجوير»؟

ـ ذكرت لي اسمها يا سيدي . . وعدا هذا فقد رأيت صورها في الصحف، وشاهدتها تمثل على المسرح . .

وأومأ (بوارو) برأسه وقال :

ـ وماذا كانت مرتدية؟ . .

ـ ملابس سوداء يا سيدي . . ثوب خروج أسود، وقبعة سوداء وعقد لؤلؤ أبيض، وقفاز رمادي . .

وهنا أرسل (بوارو) نظرة تساؤل إلى المفتش «جاب» كأنما يسأله عن ملابس «جين ويلكنسون» في حفلة العشاء، وقد أجاب المفتش على هذا السؤال الصامت بقوله :

ـ ثوب سهرة أبيض من الحرير التافتاه : ومطرف من فراء الأرمين وبعد أن كرر التشريفاتي حديثه عما يعرف، قال له (بوارو) :

ـ هل أقبل أحد آخر لزيارة اللورد في هذا المساء؟

ـ لا يا سيدي . .

ـ وكيف تغلقون الباب الخارجي ليلاً؟

ـ بقفل «بيل» يا سيدي . . وقد اعتدت أن أغلقه من الداخل بالرتاج عندما أهم

بالذهاب إلى فراشي في الحادية عشرة تقريباً . .

ولكن الآنسة «جيرالدين» ابنة اللورد كانت في الأوبرا ليلة أمس، فلم أغلقه بالرتاج من الداخل كالمعتاد.

ـ وكيف كان حال الباب في هذا الصباح؟!

ـ كان مغلقاً من الداخل بالرتاج، والواضح أن الآنسة «جيرالدين» أغلقته بنفسها بعد عودتها من الأوبرا . .

ـ وهل تعرف متى جاءت؟

ـ أعتقد أنها جاءت في نحو الثانية عشرة . .

إذن لم يكن ممكناً أن يفتح الباب الخارجي من الخارج إلا بالمفتاح حتى الساعة الثانية عشرة مساء . . أما من الداخل فيمكن فتحه بتحريك مزلاج القفل، أليس كذلك؟

ـ نعم يا سيدي . .

ـ وهل للباب أكثر من مفتاح؟

ـ نعم . . كان مع سيدي اللورد مفتاح، وكان ثمة مفتاح آخر في درج بخزانة الصالة أخذته الآنسة «جيرالدين» معها أمس . . ولا أعرف ما إذا كان هناك مفتاح ثالث أم لا . .

ـ أليس لدى أحد من المقيمين بالبيت مفتاح آخر؟

ـ لا . . إن الآنسة «كارول» ترن الجرس دائماً . .

وأومأ (بوارو) للتشريفاتي لكي ينصرف . . ثم ذهبنا للبحث عن الآنسة «كارول» سكرتيرة اللورد الراحل، وقد وجدناها جالسة إلى مكتب كبير منهمكة في الكتابة . .

وكانت هذه السكرتيرة سيدة لطيفة المنظر، في نحو الخامسة والأربعين من العمر، تبدو عليها سمات الكفاءة والذكاء. وكان الشيب قد بدأ يخط شعرها الذهبي، وعلى عينيها الزرقاوين كان تضع نظارة طبية للقراءة. ولما تحدثت عرفت صوتها الجاد العملي الذي سمعته في التليفون . .

وقالت بعد أن قدم إليها المفتش «جاب» السيد (بوارو) :

ـ آه . . السيد (بوارو)! . . نعم . . لقد كنت على موعد صباح أمس مع اللورد، أليس كذلك؟

ـ تماماً يا آنستي. .

وبدا لي هذه السكرتيرة البارعة قد تركت في نفس (بوارو) أثراً طيباً. . وقد قالت هي للمفتش «جاب» :

ـ حسناً يا سيدي المفتش. . ماذا أستطيع أن أفعل أيضاً؟

ـ هذا فقط. . هل أنت واثقة تماماً من أن السيدة التي جاءت أمس هي نفسها الليدي «أدجوير»؟

ـ هذه ثالث مرة توجه إلى هذا السؤال. طبعاً إنها هي. إنني واثقة من هذا كل الثقة. .

ـ أين رأيتها يا آنستي؟. .

ـ في الصالة. كانت تتحدث مع التشريفاتي برهة، ثم مضت فوراً إلى غرفة المكتبة. .

ـ وأين كنت أنت؟

ـ كنت في الطابق الأول. . أنظر إلى أسفل. .

ـ وأنت واثقة تماماً أنك غير مخطئة؟!

ـ بكل تأكيد. . لقد رأيت وجهها بوضوح. .

ـ ألا يمكن أن تكوني قد خدعت على نحو ما؟. .

ـ لا طبعاً. . إن صوتها ومشيتها وملامحها كلها كانت لسيدة واحدة فقط هي «جين ويلكنسون». . لقد كانت هي. .

ونظر «جاب» إلى (بوارو) كأنما يقول له «ألم أقل لك؟»

وسألها (بوارو) قائلاً :

ـ ألم يكن للورد «أدجوير» أعداء؟

ـ هذا كلام فارغ. .

ـ ماذا تعنين بقولك كلام فارغ يا آنستي؟

ـ أعداء؟. . ليس للناس أعداء في هذا الزمن. . لا سيما إذا كانوا من انجلترا. .

ـ ومع ذلك فقد مات اللورد مقتولاً. . !

ـ بيد زوجته.

ـ أيمكن أن تكون الزوجة، من الأعداء؟!

ـ إن هذا أعجب ما يمكن أن يحدث، لا سيما في طبقتنا الراقية.. وكان الواضح أن الآنسة «كارول» تؤمن بأن جرائم القتل تحدث فقط بين الصعاليك والسكارى..!

ـ كم عدد مفاتيح الباب الخارجي؟..

فردت الآنسة «كارول» على الفور قائلة:

ـ اثنان.. واحد مع اللورد «أدجوير» والآخر يوضع عادة في درج خزانة بالصالة ليكون في متناول أي شخص بالقصر ينوي أن يتأخر في الخارج. وكان هناك مفتاح ثالث، ولكن الكابتن «مارش» ضيعه بإهماله..

ـ هل يتردد الكابتن «مارش» كثيراً على القصر؟..

ـ كان يقيم معنا بصفة دائمة حتى ثلاث سنوات مضت..

وسألها المفتش «جاب» قائلاً:

ـ ولماذا غادركم؟..

ـ لا أعلم.. ربما لأنه لم يستطع أن يتكيف مع عمه اللورد.. فقال (بوارو) برفق:

ـ أعتقد أنك تعرفين أكثر من هذا يا آنستي!..

فرشقته بنظرة حادة، وقالت:

ـ إنني لم أتعود على الثرثرة في شؤون مخدومي الخاصة..

ـ ولكن يمكنك أن تذكري لنا الحقيقة بشأن الإشاعات القائلة بأنه حدث خلاف شديد بين الكابتن «مارش» وعمه اللورد..

ـ لم يكن الخلاف شديداً.. إن اللورد «أدجوير» كان رجلاً من الصعب الحياة معه في بيت واحد.. هذا كل ما في الأمر..

ـ وحتى أنت قد أدركت هذه الحقيقة عملياً؟!

ـ إنني لا أتحدث عن نفسي.. وأذكر أنه لم يحدث خلاف بيني وبينه إطلاقاً، لأني كنت أعرف كيف أقوم بواجبي كاملاً..

ـ ولكن، فيما يتعلق بالكابتن «مارش»؟!

وهزت الآنسة «كارول» كتفيها، وقالت:

ـ إنه شاب مسرف متلاف يغرق دائماً في الديون.. وقد حدث شيء لا أعرفه أدى

إلى نشوب خلاف شديد بينهما، وقد طلب منه اللورد أن يرحل عن القصر ولا يدخله أبداً.. هذا كل ما أعرفه..!

وأطبقت الآنسة «كارول» شفتيها، كأنما قررت ألا تنطق بكلمة أخرى..

وكنا عندئذ في الطابق الأول. وفيما نحن نغادره، أمسك (بوارو) بذراعي وقال لي:

ـ انتظر هنا لحظة.. ابق في مكانك.. لسوف أهبط أنا و «جاب»..وعليك أن تراقبنا ونحن ندخل المكتبة، ثم الحق بنا بعد ذلك.. ولم أسأل (بوارو) عن السبب، لأني كنت أعرف أنه لن يخبرني بشيء إلا في الوقت المناسب..

ووقفت في المنبسط بالطابق الأول، أطل برأسي من «الدرابزين» على الصالة بالطابق الأرضي.. ومضى (بوارو) والمفتش «جاب» إلى باب القصر الخارجي، ثم عادا وسارا منه إلى غرفة المكتبة عبر الصالة الطويلة.. وبعد برهة لحقت بهما في المكتبة التي كانت خالية ـ طبعاً ـ من جثة اللورد، وقلت لـ (بوارو):

ـ لقد رأيتكما وأنتما تدخلان من الباب الخارجي إلى هنا..

فابتسم (بوارو) وقال وهو يتناول من شفتيه زهرة:

ـ هل رأيت هذه الزهرة بين شفتي، وأنا أدخل يا عزيزي «هاستنج»؟

فقلت مندهشاً، وقد بدأت أدرك الهدف من تصرفاته:

ـ لا.. لم أرها، لأنني لم أستطع أن أرى وجهك إطلاقاً.. فهز (بوارو) رأسه برفق وقال:

ـ حسناً.. لا بأس..

وقال «جاب»:

ـ أعتقد أنه ليس هناك ما يدعو لبقائنا هنا.. ولكنني أريد أولاً أن أرى الآنسة «جيرالدين» ابنة اللورد، إذا أمكن.. لقد كانت في حالة اضطراب شديد عندما جئت أول مرة..

واستدعى التشريفاتي قائلاً:

ـ قل للآنسة «جيرالدين» هل يمكن أن نراها لحظة؟

وانصرف التشريفاتي.. وبدلاً من أن يعود هو بالرد، إذاً بالآنسة «كارول»

السكرتيرة، تدخل قائلة:

ـ إن «جيرالدين» نائمة، والواقع أن الصدمة كانت شديدة عليها.. لقد أعطيتها منوماً بعد انصرافك يا سيدي المفتش، ولعلها تستيقظ بعد ساعة أو ساعتين..

ولما أومأ «جاب» برأسه، قالت هي بحزم:

ـ وأعتقد على كل حال أنه ليس لديها ما تقوله في هذا الموضوع. وسألها (بوارو) قائلاً:

ـ ما رأيك يا آنسة كارول في هذا التشريفاتي؟

ـ الواقع أنني لا أميل إليه.. ولست أدري لماذا..

وبلغنا الباب الخارجي عندما استدار (بوارو) فجأة إلى الآنسة كارول وقال لها وهو يرفع أصبعه إلى منبسط الطابق الأول:

ـ كنت واقفة في هذا المكان يا آنستي ليلة أمس، عندما جاءت الليدي «أدجوير» .. أليس كذلك؟

ـ نعم.. لماذا؟

ـ ورأيت الليدي وهي تعبر الصالة إلى غرفة المكتبة؟

ـ نعم..

ـ ورأيت وجهها بوضوح؟

ـ بكل تأكيد..

ـ ولكنك لا تستطيعين أن ترى وجه أي إنسان يدخل من الباب الخارجي إلى غرفة المكتبة يا آنستي.. يمكنك فقط أن تري ظهره وأنت واقفة في هذا المكان..

فاضطرم وجه الآنسة «كارول» غضباً وقالت:

ـ ظهر الليدي أدجوير وصوتها، وطريقة مشيتها، كل هذا سواء.. إنني أعرفها جيداً.. وأعرف أنها سيدة شريرة جداً.

ثم استدارت وصعدت إلى الطابق الأول دون أن تنطق بكلمة أخرى..



الفصل الثامن

احتمالات مختلفة

وانصرف المفتش «جاب» عنا..

وقال (بوارو) لي حين جلسنا على مقعد في حديقة ريجنت بارك:

ـ أرأيت هدفي من وضع زهرة بين شفتي يا «هاستنج» وأنا أدخل غرفة المكتبة؟

وضحكت قائلاً:

ـ نعم، طبعاً..

ـ من هذا يتضح أن السكرتيرة تعتبر من الشهود الخطرين، لأنها ليست دقيقة في أقوالها.. إنها عادة تدلي بأقوالها في ثقة ويقين، أكثر مما ينبغي.. ولهذا قمت بتجربتي البسيطة لأثبت أنه ليس في مقدورها أن ترى وجه زائرة الأمس عند وصولها من باب القصر إلى المكتبة عبر الصالة..

ـ ولكن يقينها لم يتزعزع.. والواقع أن الإنسان يستطيع أن يعرف شخصاً ما من ظهره، ومن صوته، وطريقة مشيته..

ـ لا.. لا..

ـ لماذا يا (بوارو)؟.. إن الصوت والمشية من العلامات المميزة لأي شخص..

ـ نعم.. ولكن من السهل تقليدهما..

ـ أتعني أن.. وقاطعني (بوارو) قائلاً:

ـ أتذكر يوم كنا في المسرح نشاهد «شارلوت آدامز» وهي تقلد «جين ويلكنسون» وتبلغ في محاكاتها لها حد الكمال..

فهتفت قائلاً:

ـ إن هذا مستحيل..! لماذا تقتل «شارلوت آدامز» اللورد «أدجوير».. إنها لا تكاد تعرفه..

ـ من أين لك أن تعلم أنها لا تعرفه؟ . . إن الإنسان لا يستطيع أن يجزم بشيء في موضوع كهذا . . ومع ذلك فهذه ليست نظريتي . .

ـ إذن فقد كونت لنفسك نظرية في هذه الجريمة . .

ـ نعم . . لقد خطر ببالي منذ اللحظة الأولى احتمال أن يكون لـ «شارلوت آدامز» دور فيما حدث . .

ـ ولكن . . !!

ـ مهلاً يا «هاستنج» . . دعني أشرح لك نظريتي . . إن الليدي «أدجوير» بثرثرتها المعروفة. تحدثت علنا عن علاقتها بزوجها، وعن استعدادها لقتله إذا لم يمنحها الطلاق. ولست أنا أو أنت فقط اللذان سمعنا هذا . . بل لقد سمعه نادل الفندق أيضاً، وكذلك وصيفتها . . وهناك أشخاص سمعوا هذا التهديد عن طريق الوصيفة والنادل. ولا تنس أن «بريان مارتن» سمعها تقول هذا أكثر من مرة، وربما سمعتها «شارلوت آدامز» أيضاً. وقد كررت الليدي «أدجوير» الحديث عن رأيها هذا في الليلة التي حضرت فيها إلى المسرح الذي كانت «شارلوت آدامز» تقلدها عليه . . وأخيراً . . من الذي لديه حافز قوي على ارتكاب هذه الجريمة؟ . . إنها هي . . زوجته . .

وبعد برهة صمت، استطرد (بوارو) قائلاً :

ـ والآن، لنفرض أن شخصاً ما أراد أن يقضي على اللورد «أدجوير» فماذا يفعل؟ . . إن أمامه كبش فداء في هيئة زوجة اللورد . . ومن ثم انتهز الفرصة التي أعلنت فيها «جين» أنها تعاني من الصداع، وأنها ستعتذر عن حفلة السير «مونتاج»، ونفذ الخطة التي وضعها للقضاء على اللورد، واثقاً تماماً أن الاتهام سوف يتركز على «جين» . .

ومرة أخرى أردف (بوارو) قائلاً بعد برهة صمت :

ـ ولا بد أن الليدي «أدجوير» رؤيت وهي تدخل مكتبة زوجها اللورد. حسناً . . لقد رؤيت فعلاً . . بل أنها تمادت وأعلنت عن شخصيتها بمجرد دخولها القصر، فهل هذا معقول؟ . . هل يعقل أن تعلن عن شخصيتها بمثل هذه البساطة وهي تدخل لترتكب جريمة قتل؟!

وهز (بوارو) رأسه مفكراً، واستطرد يقول :

ـ وهناك نقطة أخرى.. لقد ذكرت الليدي «أدجوير» أنها تكره الملابس السوداء: ولكن السيدة التي رؤيت وهي تدخل مكتبة اللورد كانت ـ كما ذكر الشهود ـ ترتدي ملابس سوداء والمعروف عن «جين» أنها لا ترتدي الملابس السوداء قط. إذن لنفرض أن السيدة التي دخلت مكتبة اللورد ليست في الواقع «جين ويلكنسون». وإنما واحدة تقمصت شخصية «جين» فهل هي القاتلة؟.. أو أن شخصاً ثالثاً دخل القصر وقتل اللورد.. وإذا صح هذا، فهل دخل قبل هذه السيدة أو بعدها؟.. وإذا كان قد دخل بعدها، فماذا قالت تلك السيدة المزعومة للورد عندما تبين أنها ليست زوجته؟.. كيف فسرت دخولها عليه. وهي تزعم أنها زوجته؟.. إنها قد تخدع التشريفاتي الذي لم يكن يعرفها معرفة شخصية، ولعلها خدعت الوصيفة التي لم ترها إلا من ظهرها.. ولكن لم يكن هناك أي احتمال في أن تخدع زوجها.. أم أنها لم تجد في المكتبة إلا جثة اللورد؟.. فهل قتل اللورد قبل دخولها، أي فيما الساعة التاسعة والساعة العاشرة؟..

وهنا هتفت قائلاً:

ـ انتظر يا (بوارو) لقد جعلت رأسي يدور..

ـ لا.. لا.. يا عزيزي.. إننا نستعرض الاحتمالات الآن.. تماماً كما يفعل الإنسان حين يقيس ثوباً جديداً.. إنه يظل يقيس هذا الثوب وذاك حتى يصل إلى المقاس المطلوب..

وسألته قائلاً:

ـ من الذي تشتبه في أنه قام بهذه الخطة الجهنمية؟

ـ آه.. إننا لا نستطيع أن نجزم الآن.. يجب أولاً أن نعرف الشخص أو الأشخاص الذين لديهم حوافز قوية لقتل اللورد.. فهناك ـ طبعاً ـ ابن أخيه الوارث له. وهذا حافز واضح.. ولا شك أن لمثل هذا اللورد أعداء رغم تأكيد الآنسة «كارول» بأنه عاش بلا أعداء. فالواضح أن اللورد من الرجال الذين يكتسبون عداوة الناس بسهولة..

ـ نعم.. هذا واضح جداً..

ـ وأياً كان مرتكب الجريمة، فلا شك أنه يعتبر نفسه الآن في أمان تام من الاشتباه في أمره.. وتذكر يا «هاستنج» أن الليدي «أدجوير» ما كانت لتستطيع أن

تثبت براءتها لو لم تغير رأيها في آخر لحظة وتذهب إلى حفلة السير «مونتاج». . فلو لم تذهب إلى هذه الحفلة، لبقيت في غرفتها أو في جناحها بفندق سافوي تعاني من الصداع، وما كان في مقدورها أن تثبت هذه الحقيقة بسهولة. . وعلى هذا كان احتمال القبض عليها مؤكداً، ثم محاكمتها، وربما إعدامها. .

وسرت في بدني رعدة باردة، بينما استطرد (بوارو) قائلاً:

ـ إلا أن هناك شيئاً واحداً يحيرني. . إن الرغبة في إلقاء التهمة عليها واضحة، ولكن ما معنى تلك المحادثة التليفونية؟. . لماذا اتصل بها تليفونياً شخص ما وهي في بيت السير «مونتاج». . ولما اطمأن إلى وجودها، ضحك وأنهى المكالمة؟!. .

يبدو أن ذلك الشخص أراد أن يتأكد من وجودها في الحفلة قبل أن يبدأ في تنفيذ خطة الجريمة. . وهذا يعني أن الهدف من المكالمة هدف طيب، أي ليس من المعقول أن يكون القاتل هو الذي اتصل تليفونياً ب «جين» لأنه وضع خطته على أساس أنها لم تذهب إلى الحفلة. . إذن فمن هو الذي تحدث تليفونياً؟. . يبدو أن لدينا حالتين مختلفتين جداً. . حالة يراد فيها إبقاء التهمة على «جين» وحالة يراد فيها الاطمئنان على أن «جين» بعيدة عن مكان الجريمة. . !

فهززت رأسي، وأنا في حيرة وارتباك. . ولكنني قلت أخيراً:

ـ قد يكون الأمر مجرد مصادفة لا أكثر.

ـ لا. . لا. . لا يمكن أن تلعب المصادفة جميع الأدوار في هذه الجريمة. لا بد أن تكون هناك صلة بين ما حدث، وبين الخطاب الذي أرسل إلى «جين» دون أن يصل إليها.

وبعد أن تنهد، عاد يقول:

ـ إن القصة التي ذكرها لنا «بريان مارتن» عن مطاردة رجل له سن ذهبية. .

فهتفت قائلاً:

ـ لابد أن يكون لها صلة بالحادث. .

ـ إنك تتسرع في الحكم يا «هاستنج»!. . الواقع أن شخصاً ما وضع خطة كاملة، وهي خطة معقدة في الوقت الحاضر، ولكن تفاصيلها لن تلبث أن تتضح تدريجياً.

وقلت أخيراً:

ـ إذا كنت تظن أن لـ «شارلوت آدامز» ضلعاً فيما حدث. فأنت مخطىء.. لأن هذه الفتاة كما تبدو لي، فتاة بريئة..

ولكنني تذكرت فجأة حبها الشديد للمال.. فهل يكون هذا الحب هو الأساس الذي قامت عليه الجريمة.

وقال (بوارو):

ـ أنا لا أعتقد أن «شارلوت» هي التي ارتكبت الجريمة.. إنها أعقل وأحكم من أن تفعل هذا.. بل ربما لم يخبرها أحد بأن هناك جريمة سوف ترتكب.. ولا شك أن الذين استخدموها لتقوم بدور الليدي«أدجوير» في تنفيذ الخطة، أفهموها أن الأمر لا يزيد عن مداعبة بريئة..!

وفجأة وثب (بوارو) قائلاً:

ـ أسرع يا «هاستنج».. أسرع قبل فوات الوقت..

وقبل أن أسأله عن شيء. أستوقف سيارة مأجورة ووثب معي إليها وقال:

ـ هل تعرف عنوانها؟..

ـ عنوان من ؟!..

ـ «شارلوت آدامز»..

ـ لا..

ـ إذن لنأخذه من دفتر التليفون.. لا.. أعتقد أن هذا لن يجدي، لنذهب أولاً إلى المسرح..

واستطاع (بوارو) أن يعرف عنوان «شارلوت» من مدير المسرح.. وانطلقت بنا السيارة المأجورة إلى مسكنها في عمارة بشارع سلون سكوير، وظل يكرر والسيارة تنطلق بنا:

ـ أرجو أن أصل قبل فوات الأوان.. يا إلهي.. كيف غفلت عن هذا الاحتمال الواضح..؟



الفصل التاسع

الجريمة الثانية

ورغم أنني لم أعرف سبب اهتياج (بوارو) وقلقه، إلا أنني أدركت أن الأمر أخطر مما أتصور . وقد صدق حدسي حين فتحت لنا باب مسكن «شارلوت» خادمة في منتصف العمر، متورمة العينين من فرط الحزن والبكاء . .

وقد قالت لنا حين سألناها عن سيدتها :

ـ ألم تسمعا بالنبأ؟ . . لقد ماتت سيدتي المسكينة . . ماتت وهي نائمة، إن هذا شيء فظيع . .

واعتمد (بوارو) على جانب الباب وقال بصوت هامس :

ـ جئت بعد فوات الأوان . . !

وقالت الخادمة، وهي تنظر إليه بفضول :

ـ معذرة يا سيدي . . هل أنت صديق لها؟ . . إنني لم أرك من قبل . .

ولم (يجب) (بوارو) عن هذا السؤال مباشرة، وإنما قال :

ـ وماذا قال الطبيب؟ . .

ـ قال إنها تناولت كمية أكبر من اللازم من مسحوق منوم . . مسحوق «فيرونال» كما قال . . وقال (بوارو) وهو ينتصب بحزم :

ـ يجب أن أدخل . . أفسحي الطريق . . إنني من رجال المباحث الجنائية، وقد جئت لأتحرى أمر هذه الجريمة . .

وفغرت المرأة فمها دهشة وخوفاً، وأفسحت الطريق فوراً . . وأمسك (بوارو) بزمام الموقف، وقال للمرأة :

ـ اسمعي . . يجب ألا تبوحي لأحد بما يجري هنا . اجعلي الجميع يستمرون في الاعتقاد بأن الوفاة حدثت قضاء وقدراً . والآن . ما هو عنوان الطبيب الذي حضر لفحصها؟

ـ الدكتور «هيث» 17 كارليسلى ستريت. .

ـ وما هو اسمك أنت؟. .

ـ «بنيت». . «اليس بنيت». . !

ـ يبدون أنك شديدة التعلق بالآنسة «شارلوت»؟

ـ نعم. . كانت آنسة لطيفة جداً، وقد عملت في خدمتها السنة الماضية كلها. . وكان لا يبدو عليها أنها ممثلة، وإنما سيدة مهذبة رقيقة. .

ـ ولابد أن ما حدث كان صدمة عنيفة لك! . .

ـ بكل تأكيد يا سيدي. . فعندما حملت إليها صحفة الشاي كالمعتاد في التاسعة والنصف صباحاً، رأيتها نائمة. . أو هكذا خيل إلي. ووضعت الصحفة على مقعد قريب، ورفعت الستائر عن النوافذ. . وتعمدت أن أحدث ضجة خفيفة توقظ الآنسة، ولكنها لم تستيقظ كالمعتاد. . فنظرت إليها مرة أخرى، وقد غامرني إحساس الخوف. ولما لمست يدها وجدتها باردة كالثلج، فصرخت. .

وكانت المرأة تتحدث، ودموعها تتسابق على وجهها ، وقال لها (بوارو) :

ـ تمالكي نفسك يا آنسة «بنيت». . هل كان من عادة الآنسة «شارلوت» أن تستعين على النوم بالمنومات؟

ـ نعم. . كان من عادتها أن تتناول قرصاً مسكناً للصداع بين الحين والآخر من زجاجة صغيرة. . ولكن الطبيب يقول إنها ماتت بمسحوق منوم آخر.

ـ هل جاء أحد أمس لزيارتها؟. .

ـ لا يا سيدي. . لقد كانت خارج المسكن في مساء الأمس. .

ـ هل أخبرتك بالمكان الذي ذهبت إليه؟

ـ لا يا سيدي. . لقد خرجت أمس في نحو السابعة مساء.

ـ وما لون الملابس التي ارتدتها عند خروجها أمس؟

ـ فستان أسود وقبعة سوداء. .

ونظر (بوارو) نحوي، ثم استطرد قائلاً :

ـ هل كانت متحلية بشيء؟

ـ بعقد من اللؤلؤة اعتادت أن تتحلى به دائماً يا سيدي . .

ـ والقفاز . . هل كان رمادياً؟

ـ نعم يا سيدي . . إن قفازها رمادي اللون . .

ـ والآن أخبرني عن حالتها عن خروجها . . أكانت مبتهجة، مرحة، أم حزينة متوترة الأعصاب مكتئبة؟! . .

ـ كان يبدو لي أنها مسرورة من شيء يا سيدي، لأنها كانت تبتسم لنفسها وكأنما هي مقبلة على القيام بدعابة مبهجة . . !

ـ ومتى عادت؟

ـ بعد منتصف الليل بقليل . .

ـ كيف كان حالها عند عودتها؟! . .

ـ كانت مجهدة جداً يا سيدي . .

ـ ولكنها لم تكن مكتئبة أو محزونة؟! . .

ـ أوه، لا يا سيدي. أعتقد أنها كانت مسرورة من شيء فعلته . . ولعلك تفهم ما أريد أن أقول يا سيدي . . وقد حاولت الاتصال تليفونياً بشخص ما، ولكنها لم تستطع أن تتصل به، فقالت إن الأمر غير مهم، وإن في مقدورها أن تتصل به في الصباح . .

وتألقت عينا (بوارو) وهو يقول :

ـ آه . . وهل عرفت اسم هذا الشخص؟

ـ لا يا سيدي . . إنها طلبت الرقم من عاملة تليفون العمارة، ثم انتظرت حتى يتم الاتصال . . ولكن عاملة التليفون ردت قائلة إنها عبثاً تحاول الاتصال بذلك الرقم . . وعندئذ قالت لها الآنسة شارلوت «حسناً . . » ثم وضعت المسماع وقالت «الأمر لا يهم، وإني متعبة جداً» ثم بدأت تخلع ملابسها . .

ـ ألا تذكرين الرقم الذي طلبته؟ . . إن الأمر قد يكون مهما جداً . .

ـ إنني آسفة يا سيدي . . إنه رقم بمنقطة فكتوريا . . وهذا كل ما أتذكره، لأنني لم أكن متنبهة بصفة خاصة . .

ـ ألم تأكل أو تشرب شيئاً قبل النوم؟!

ـ شربت كعادتها كل ليلة قدحاً من اللبن . .

ـ ومن الذي أعده وقدمه لها؟

ـ أنا يا سيدي . .

ـ ولم يحضر أحد قط إلى المسكن أمس؟!

ـ لا أحد يا سيدي . .

ـ وقبل المساء؟ . .

ـ لم يحضر أحد بقدر ما أتذكر . . لقد كانت الآنسة «شارلوت» في الخارج أثناء النهار، ولم تحضر إلا في السادسة، لكي تعود للخروج في السابعة . .

ـ ومتى استلمت اللبن؟ . . اللبن الذي شربت منه الآنسة «شارلوت» قبل النوم . .

ـ كان لبناً طازجاً يا سيدي. استلمته بعد ظهر أمس. والمعتاد أن يتركه الغلام الموزع خارج باب المسكن في الرابعة بعد الظهر. وهو لبن لا بأس به يا سيدي، لأني شربت منه مع الشاي في هذا الصباح، والطبيب يؤكد أنها تناولت المسحوق المنوم بنفسها.

فقال (بوارو) :

ـ من المحتمل أن أكون مخطئاً . . نعم . . هذا محتمل. لسوف أزور الطبيب، ولا شك أن للآنسة «شارلوت» أعداء، فإن المجتمع في أمريكا يختلف عن المجتمع هنا . .

ووقعت الخادم في الفخ، إذ قالت بحماس :

ـ آه . . نعم يا سيدي. إنني قرأت عن شيكاغو، وهي مدينة ملعونة مليئة برجال العصابات . .

وقبل أن ينصرف (بوارو) وقعت عيناه على حافظة ـ صغيرة ـ تشبه حافظة الأوراق ـ موضوعة على مقعد، فأشار إليها قائلاً :

ـ هل كانت هذه الحافظة مع الآنسة «شارلوت» عندما خرجت أمس مساء؟

ـ كانت معها عندما خرجت في الصباح أمس، ولم تحضرها حين عادت في الساعة السادسة، ولكنها أحضرتها عندما عادت بعد منتصف الليل بقليل . .

ـ آه . . هل تسمحين لي بفتحها؟

ـ وكانت «أليس بنيت» على استعداد لأن تسمح بأي شيء طالما أنها تشعر بأنها

تتعاون مع أحد رجال المباحث الجنائية. . وهكذا فتح (بوارو) الحافظة، ونظرت أنا من فوق كتفه إلى ما بداخلها، وكان طبيعياً أن يقول (بوارو) :

ـ أترى يا «هاستنج»؟ . . أترى؟ . .

ـ ذلك أني رأيت داخل الحافظة طاقماً لأدوات التنكر، وقطعتين تستعملان في تعلية الحذاء حتى تبدو مستعملتهما أطول من الحقيقة ببوصة تقريباً، كما رأيت زوجاً من القفازات الرمادية، وباروكة شعر ذهبي اللون. . نفس لون شعر «جين ويلكنسون» ومصفف بنفس الطريقة. .

ـ وقال (بوارو) :

ـ هل تشك الآن في أن «شارلوت آدامز» هي التي ذهبت إلى. . ؟

ثم أردف قائلاً للخادمة، وهو يغلق الحافظة :

ـ ألا تعرفين مع من تناولت العشاء أمس؟!

ـ لا يا سيدي! . .

ـ ألا تعرفين مع من تناولت الغداء أو الشاي؟!

ـ لا أعرف شيئاً عن الشاي، ولكنني أعتقد إنها تناولت الغداء مع الآنسة «درايفر»؟ .

ـ المس «درايفر»؟ .

ـ نعم. . صديقتها الحميمة. وهي صاحبة محل لبيع القبعات بشارع موفات، بعد شارع بوند ستريت مباشرة. . واسم المحل «جنيفييف». .

وقال (بوارو) بعد أن دون العنوان في مفكرته :

ـ سؤال أخير يا آنسة «بنيت» ألا تتذكرين شيئاً. . أي شيء قالته أو فعلته الآنسة «شارلوت» عند عودتها في الساعة السادسة؟ حاولي أن تتذكري. .

فزوت الخادمة ما بين حاجبيها في تفكير شديد، ثم قالت :

ـ الواقع أنني لا أكاد أتذكر شيئاً. . لقد سألتها هل تريد قدحاً من الشاي، فقالت إنها تناولت كفايتها منه، ثم راحت تكتب خطاباتها حتى أزف موعد خروجها للمرة الثانية . .

ـ خطابات؟ . . ألم تخبرك إلى من كانت سترسلها؟ . .

ـ نعم يا سيدي. الواقع إنه كان خطاباً واحداً مكوناً من عدد كبير من الصفحات، وقد

كتبته لأختها كما اعتادت أن تفعل كل أسبوع. وكانت قد أخذت الخطاب معها لتضعه في صندوق البريد حتى لا يفوتها موعد جمع الرسائل مساء.. ولكنها نسيت أن تفعل..

- إذن فهو هنا..؟!

- لا.. لقد وضعته أنا في الصندوق.. فعندما تذكرت أنها نسيت أن تضعه بعد عودتها، طلبت مني أن أسرع وأضعه أنا بعد أن ألصق عليه طابع بريد إضافياً..

- آه! وهل صندوق البريد بعيد عن هنا؟

- لا يا سيدي إنه قريب من هنا.. وراء المنعطف مباشرة..

- وهل أغلقت باب المسكن وراءك عندما ذهبت لوضع الخطاب في الصندوق؟

وارتبكت الخادمة برهة، ثم قالت:

- لا ياسيدي.. لقد تركته موارباً كما اعتدت أن أفعل في مثل هذه الظروف..

وصمت (بوارو) برهة، وهنا قالت الخادمة:

- هل تحب أن تلقي عليها نظرة يا سيدي؟.. إنها تبدو جميلة. كما لو كانت على قيد الحياة..

وأومأ (بوارو) برأسه، وتبعته إلى غرفة نوم المتوفاة.. وكانت تبدو في موتها جميلة وادعة هادئة السمات، أقرب ما تكون إلى النوم منها إلى الوفاة!

وقال (بوارو) وهو يرسم الصليب على صدره:

- ليرحمك الله..

ثم قال لي ونحن نهبط السلم:

- لسوف أثأر من قاتلها!..

وبعد برهة صمت، أردف قائلاً:

- إنني مستريح الضمير الآن.. فما كان في مقدوري أن أنقذها، لأنني عندما سمعت بنبأ مقتل اللورد «أدجوير» كانت هي قد ماتت.. وإن هذا ليريحني جداً..



الفصل العاشر

بائعة القبعات

وكانت خطوتنا التالية، هي الذهاب إلى الطبيب الذي أعطتنا الخادمة عنوانه. .

واستقبلنا الرجل بحفاوة بالغة، إذ تبين أنه يعرف (بوارو) مما قرأ عنه، وقال:

ماذا أستطيع أن أقدم إليك من خدمات يا سيد (بوارو)؟.

فلما أخبره (بوارو) عن مهمتنا، قال الطبيب:

ـ آه. . مسكينة تلك الآنسة. . لقد كانت ممثلة بارعة، ومن المؤلم أن تنتهي حياتها على هذا النحو. . لا شك أن هؤلاء الممثلات يدمن تعاطي المخدرات. .

ـ هل تعتقد إذن أنها كانت مدمنة على المخدرات؟.

ـ هذا رأيي، رغم أني لم أر على جسمها آثاراً تدل على أنها كانت تتعاطى المخدرات بالحقن. . والمهم أنها كانت تتعاطى الفيرونال بإدمان. .

ـ كيف عرفت هذا يا سيدي الطبيب؟

ـ فتناول حقيبة أمامه، وأخرج منها كيساً جلدياً صغيراً، وهو يقول:

ـ لقد أخذت هذا معي حتى لا تعبث به الخادمة. .

ثم أخرج من الكيس الجلدي علبة صغيرة ذهبية محفوراً على غطائها هذه الأحرف «ش. آ.» ومرصعة بالياقوت. والواقع أن العلبة كانت تحفة أنيقة ثمينة. . ولما فتحها الطبيب وجدناها مليئة بمسحوق أبيض قال عنه الطبيب:

ـ إنه مسحوق الفيرونال. والآن. . انظر إلى ما هو مكتوب في الغطاء من الداخل!

ـ وقد رأيت في الغطاء الداخلي للعلبة هذه الأحرف والكلمات المحفورة: «إلى ش. أ. من د. باريس، 10 تشرين الثاني ـ أحلام سعيدة».

وقال (بوارو) مفكراً:

ـ 10 تشرين الثاني؟!

ـ نعم، تماماً.. ونحن الآن في شهر تموز.. وهذا يعني أنها اعتادت تناول هذا المسحوق المخدر منذ ستة أشهر على الأقل. وما دامت السنة لم تذكر، فربما اعتادت أن تتعاطاه منذ عام ونصف عام أو أكثر..

وقطب (بوارو) جبينه مفكراً:

ـ باريس.. د؟!

وقال الطبيب مستعرضاً معلوماته:

ـ والعجيب أن عقار الفيرونال هذا من العقاقير المراوغة العجيبة.. إن الإنسان قد يتناول منه كمية كبيرة دون أن يصاب بأذى.. ولكنه قد يتناول في مناسبة أخرى قليلاً منه جداً ليقضي عليه.. ولهذا فهو عقار خطر..

وبعد برهة أردف قائلاً:

ـ لا أشك في أن التحقيق سيثبت أن الوفاة حدثت قضاء وقدراً..!

وقال (بوارو):

ـ هل تسمح لي بفحص محتويات الكيس الجلدي الخاص بالآنسة «شارلوت»؟

فقدم الطبيب الكيس إليه، وقال:

ـ طبعاً.. طبعاً.. بكل تأكيد..

وأفرغ (بوارو) محتويات الكيس.. وكانت منديل يد صغير من الحرير عليه الحروف الأولى من اسم «شارلوت آدامز» وعلبه بودرة، وأصبعاً من أحمر الشفاه، وورقة مالية من فئة الجنيه، وبضعة نقود صغيرة، ونظارة طبية».

وفحص (بوارو) النظارة بعناية.. وكانت ذات إطار ذهبي، بسيطة المظهر، من النوع الذي يستعمله المثقفون والجامعيون عادة..

وقال (بوارو) أخيراً:

ـ عجباً.. إنني لم أكن أعرف أن الآنسة «شارلوت» تستعمل نظارة طبية، لعلها للقراءة فقط..

فتناول الطبيب النظارة، وقال بعد أن فحصها:

ـ لا.. هذه النظارة طبية للشارع.. وهي ذات عدسات قوية أيضاً، ولا بد أن

يكون الشخص المستعمل لها قصير النظر جداً . .

ـ هل سبق لك أن رأيت الآنسة «شارلوت» قبل ذلك . .

ـ لا . . لقد ذهبت مرة واحدة لأعالج حالة تسمم في إصبع الخادمة . . وهناك رأيت الآنسة «شارلوت آدامز» بغير نظارة . .

وشكر (بوارو) الطبيب، وانصرفنا . . وفي أثناء السير في الطريق، قال (بوارو) متعجباً :

ـ من الممكن أن أكون مخطئاً . .

ـ أتعني تقمص «شارلوت» لشخصية الليدي «أدجوير»؟

ـ لا . . لا . . لقد ثبت هذا بالدليل القاطع . . ولكنني أعني وفاتها، لقد وضح تماماً أنها تحتفظ بمسحوق الفيرنال، فهل يمكن أن تكون قد أخذت كمية منه لتضمن نوماً هادئاً طيلة الليل؟ . .

وفجأة توقف في الطريق، وضرب يداً بيد، وهتف قائلاً :

ـ لا . . لا . . لا . . هذا مستحيل . . لماذا ماتت في هذه الليلة بالذات . . إنها لم تمت قضاء وقدراً . . إنها لم تنتحر، وإنما هي حكمت على نفسها بالإعدام حين قبلت أن تقوم بدورها في مصرع اللورد «أدجوير» . . ولعل قاتلها اختار الفيرونال كأداة للقتل لأنها كانت تتناوله بين الحين والآخر، ولأن علبته الذهبية كانت دائماً معها . . ولكن ، إذا صح هذا، فلا بد أن يكون القاتل شخصاً يعرفها جيداً . من هو «د» يا «هاستنج» لشد ما أتمنى أن أعرف من يكون؟!

وفجأة استوقف سيارة مأجورة، وطلب من سائقها أن يحملنا إلى محل «جنيفييف» بشارع موفات . .

وتبين لنا ـ عند وصولنا إلى المحل ـ أنه مقام في مسكن بالطابق الأول، وله واجهة صغيرة بالقرب من المدخل تعرض بعض أنواع القبعات والمطارف الحريرية . .

وصعدنا السلم إلى باب شقة مكتوب عليه «جنيفييف» . . ولما دخلنا، استقبلتنا في غرفة مليئة بالقبعات النسائية فتاة طويلة القامة، شقراء، تنم نظراتها الموجهة إلينا عن الارتياب . . وقال لها (بوارو) :

ـ الآنسة «جنيفيف درايفر»؟ . .

فقالت الفتاة :

ـ لا . . ولكنني لا أعرف هل ستقبل صاحبة المحل استقبالكما أم لا؟ . . إننا هنا لا نستقبل عادة إلا النساء . .

ـ إذن أرجوك أن تقولي لها إن صديقاً للآنسة «شارلوت آدامز» يريد مقابلتها . .

لم يكن ثمة حاجة بالشقراء للقيام بهذه المهمة، إذ ما لبثت الستارة المخملية في نهاية الغرفة أن انفرجت عن مخلوقة صغيرة الجسم، حمراء الشعر، حادة المزاج، قالت :

ـ ماذا أستطيع أن أقدم لكما؟ . .

ـ هل أنت الآنسة «درايفر»؟

ـ نعم. وما هذا الذي سمعته عن «شارلوت»؟

ـ هل سمعت بالنبأ المحزن؟

ـ أي نبأ محزن تعني؟!

ـ لقد ماتت الآنسة «شارلوت» أثناء نومها ليلة أمس . . بجرعة كبيرة من مسحوق الفيرونال . .

فاتسعت حدقتا الفتاة رعباً، وقالت :

ـ يا للفظاعة؟ . . مسكينة «شارلوت»؟ . . إنني لا أكاد أصدق هذا! . . عجباً، لقد كانت حتى أمس موفورة الحياة والنشاط . .

ومع ذلك فهذا ما حدث يا آنستي . . والآن، هل تتفضلين وتتناولين معي ومع صديقي هذا طعام الغداء . . إنني أريد أن أوجه إليك عدداً من الأسئلة . .

ـ من أنت أولاً؟ . .

ـ إن اسمي «هيركيول بوارو»؛ وصديقي هو الكابتن «هاستنج» . .

ـ آه . . لقد سمعت عنك . . حسناً، لسوف آتي معك . .

وما هي غير دقائق معدودة حتى كنا جالسين في مطعم أنيق بشارع دوفر ستريت . . وبعد عبارات من الحديث العارض، قال (بوارو) :

ـ إنني أعرف أنك كنت صديقة حميمة للآنسة شارلوت آدامز . .

ـ تماماً . .

ـ إذن أؤكد لك أن ما أهدف إليه هو الثأر لمقتل صديقتك! . .

ـ حسناً . .

ـ هل تناولت الغداء معها أمس؟

ـ نعم . .

ـ كيف كانت حالها؟

ـ كانت في حالة إثارة وانفعال وابتهاج خفي . . ولما سألتها عن السبب، قالت إنها وعدت ألا تبوح بالسر، ولكنني فهمت أنها كانت تنوي أن تقوم بدعابة كبيرة مثيرة . .

ـ دعابة مثيرة؟!

ـ هذا ما قالته . . ولكنها لم تخبرني عن نوع هذه الدعابة، أو متى أو أين ستقوم بها . . على أنني أذكر أنها ليست من النوع الذي يتمتع بالتندر على أحد، أو تدبير شيء يزعج أحداً . . لقد كانت فتاة حادة، عملية واقعية، لطيفة. وأنا أعني أنها كانت ستقوم بهذه الدعابة بناء على رغبة أحد، ولكنها لم تقل هذا صراحة . . ولهذا أعتقد أن في الأمر ربحاً مالياً . .

ـ ربحاً مالياً؟! . .

ـ نعم . . فالذي أعلمه عن شارلوت إنها كانت تحب المال إلى حد كبير . . ولا شيء يستهويها أو يثير انفعالها أكثر من الأمل في الحصول على مبلغ كبير من المال . . ولهذا أعتقد أن المال كان محور هذه الدعابة . .

وبعد برهة صمت، قال (بوارو) :

ـ هل تعرفين اسم اللورد «أدجوير»؟ . .

ـ أوه؟ . . الرجل الذي قتل . . لقد قرأت خبر مقتله منذ نصف ساعة فقط . .

ـ نعم، هو . . هل تعلمين أن «شارلوت» كانت على علاقة بهذا الرجل . . ؟

لا أظن . ولكن . . انتظر، أذكر أنها ذكرت اسمه مرة بلهجة تنم عن المرارة الشديدة . . قالت إن الرجال أمثاله لا يجب أن يبقوا .

ـ المرارة الشديدة؟! . .

ـ نعم! . . أذكر أنها قالت عنه إن الرجال أمثاله لا يجب أن يبقوا على قيد الحياة، كما لا يجب أن يسمح لهم بتدمير حياة الآخرين . .

ـ ومتى قالت هذا يا آنسة؟! . .

ـ منذ نحو شهر تقريباً . .

ـ وما السبب الذي أثار هذا الحديث؟

ـ إنني لا أستطيع أن أذكر . . ربما ورد اسمه على لسان أحد أو في إحدى الصحف . . والمهم أنني دهشت لثورة «شارلوت» على رجل لا تعرفه شخصياً . .

وقال (بوارو) مفكراً :

ـ لا شك أن هذا عجيب فعلاً . .

وبعد برهة صمت، قال فجأة :

ـ هل تعلمين ما إذا كانت الآنسة «شارلوت» اعتادت أن تتناول الفيرونال كمنوم؟ . .

ـ لا . . لا أعرف هذا . . ولم تذكر هي لي شيئاً من هذا . .

ـ هل سبق أن رأيت معها علبة ذهبية صغيرة عليها الحرفان «ش. آ» مرصعين بالياقوت . .

ـ لا . . مطلقاً . .

ـ هل تعلمين أين كانت «شارلوت» في تشرين الماضي الماضي؟ . .

ـ آه، دعني أتذكر . . لقد عادت إلى أمريكا في نهاية ذلك الشهر . . وكانت قبل ذلك في باريس . .

ـ بمفردها . . ؟!

ـ طبعاً بمفردها . . إني آسفة، لعلك لم تكن تقصد إهانتها . . إنني لا أدري لماذا تثير كلمة «باريس» التفكير في الأمور الشائنة مع أنها عاصمة لطيفة محترمة. وعلى أية حال، فإن «شارلوت» لم تكن من نوع الغانيات اللاتي يقضين نهاية الأسبوع مع بعض الرجال . . !

ـ والآن يا آنسة . . لم يبق إلا سؤال واحد : هل كان في حياة «شارلوت»

رجل معين؟!

فقالت «جيني» ببطء:

ـ لا.. إن «شارلوت» كانت منذ عرفتها مشغولة دائماً بعملها وبابنتها الصغرى الرقيقة.. والواقع أنها كانت «رأس الأسرة» أو شيئاً من هذا القبيل. ولكن..

ـ ولكن ماذا يا آنسة «درايفر»؟

ـ إنني أخمن فقط.. فقد كانت تصرفاتها في الأسابيع الأخيرة تدل على أنها مشغولة الفكر بعض الشيء.. تماماً كما تفعل الفتاة التي تعيش في جو من الحب، وأنا أقول هذا على سبيل الاستنتاج فقط..

ـ شكراً يا آنسة.. والآن، ألم يكن بين أصدقاء «شارلوت» شخص يبدأ اسمه بحرف «د»..؟

ـ الحرف «د»!.. لا.. لا أعرف أن كان لها صديق أو صديقة يبدأ اسمها بهذا الحرف..



الفصل الحادي عشر

عابدة الذات

وقالت «جيني» بعد أن فرغنا من تناول الغداء، وبدأنا نشرب القهوة :

ـ والآن يا سيد (بوارو) ألا تخبرني بشيء من جانبك؟!

ـ سوف أخبرك ببعض الحقائق المجردة، لقد قتل اللورد «أدجوير» في غرفة المكتبة بقصره في الليلة الماضية حوالي الساعة العاشرة مساء . . وقد جاءت لزيارته سيدة أعتقد أنها صديقتك «شارلوت آدامز» ولكنها قالت للتشريفاتي إنها الليدي «أدجوير». . وكانت في الحقيقة متنكرة في هيئة الليدي «أدجوير» فعلاً، وكلنا يعرف كيف كان في مقدورها أن تقلد صوت تلك السيدة ومشيتها. وبقيت «شارلوت» ـ إن كانت هي فعلاً ـ في غرفة المكتبة بضع دقائق، أي غادرت القصر بعد العاشرة بلحظات، غير أنها لم تعد إلى مسكنها قبل منتصف الليل . . وهناك أوت إلى فراشها بعد أن تناولت جرعة كبيرة من مسحوق الفيرونال المنوم. . ولعلك يا آنستي تدركين السبب الذي جعلني أوجه إليك أسئلتي السابقة.

ـ فقالت «جيني» وهي تومىء برأسها :

ـ أعتقد أنك على حق. . وبهذه المناسبة أقول إن «شارلوت» اشترت مني أمس قبعة جديدة. .

ـ أهكذا؟. .

ـ نعم. . قالت إنها تريد قبعة يمكن أن تخفي بها جانباً من وجهها. . الجانب الأيسر. . فهل هذا يدل على شيء؟!. .

وتذكرت عندئذ أن باب قصر اللورد «أدجوير» يفتح على الجانب الأيسر. . ومعنى هذا أن « شارلوت» أرادت أن تخفي بهذه القبعة جانب وجهها الأيسر عن الشخص الذي سيفتح لها الباب. . ولما قلت هذا لـ (بوارو) أومأ برأسه وقال :

ـ نعم.. نعم.. هذا يفسر تماماً سر شرائها لهذه القبعة..

وفجأة قالت «جيني» بلهفة:

ـ سيد (بوارو).. إنني لا أعتقد أن «شارلوت» يمكن أن ترتكب جريمة.. أية جريمة، لأنها كانت مهذبة جداً..

ـ إنني معك في هذا يا آنستي.. وأكثر من هذا أقول إن القاتل شخص ملم ببعض العلوم الطبية أو التشريحية، لأنه أصاب اللورد في مقتل دقيق جداً...

والآن يا آنسة «درايفر».. هل كانت شارلوت تعرف «بريان مارتن» الممثل السينمائي؟

ـ آه، طبعاً.. لقد كانت تعرفه وهي صبية صغيرة.. هكذا قالت لي ولكنني أعتقد أنها لم تكن تلتقي به كثيراً. وأذكر أنها قالت عنه أنه غدا شديد الغرور..

ثم نظرت في ساعة يدها وأردفت هاتفة:

ـ يا إلهي.. لقد تأخرت جداً.. هل ثمة خدمة أخرى أستطيع أن أقدمها يا سيد (بوارو)؟

ـ لا يا آنستي.. شكراً..

وبعد انصرافها، قالت لـ (بوارو):

ـ فتاة لطيفة!..

ـ وعلى جانب كبير جداً من الذكاء وسرعة البديهة.. غير أني لاحظت أن خبر وفاة «شارلوت» لم يزعجها إلى الدرجة التي كنت أتوقعها..

ـ ولكن.. هل ظفرت منها بما كنت تريد؟

ـ لا.. مطلقاً.. كنت أرجو أن أعرف منها من يكون صاحب العلبة الذهبية الذي يبدأ اسمه بالحرف «د».. وعلى كل حال، فربما كان الشخص الذي أغراها بالقيام بتلك الدعابة ليس صديقاً لها على الإطلاق، وربما كان الأمر مجرد رهان بينها وبين شخص ما.. ولعل هذا الشخص رأى العلبة الذهبية معها وعرف بطريقة ما محتوياتها!

ـ ولكن.. كيف أمكن إغراء «شارلوت» بتناول جرعة كبيرة من ذلك المنوم!

ـ لا تنس أن هناك الوقت الذي تركت فيه الخادمة الباب موارباً، عندما ذهبت لتضع

الخطاب في صندوق البريد.. ولكن هذه مصادفة ضخمة. وهناك احتمالان آخران أكثر أهمية..

ـ ما هما؟..

ـ محادثتها التليفونية مع رقم فكتوريا.. فمن المحتمل جداً أنها حاولت أن تخبر أحداً ما بنجاح مهمتهما.. ومن ناحية أخرى، أين كانت هي فيما بين العاشرة وخمس دقائق حتى منتصف الليل في ليلة وقوع الجريمة؟.. لعلها كانت على موعد الشخص الذي أغراها بالدعابة. أما في حالة التليفون، فلعلها أرادت فقط أن تتصل بصديقة أو صديق لا شأن له بشيء.. ثم هناك الخطاب الذي أرسلته إلى أختها.. من المحتمل جداً أن تكون قد ذكرت فيه شيئاً يوضح بعض الغموض..

وعدنا مرة أخرى إلى فندق سافوي، حيث استقبلتنا «جين ويلكنسون» وهي تجرب أمام المرآة ارتداء قبعة سوداء جديدة..

وقال لها (بوارو):

ـ إنك تبدين رائعة يا سيدتي..

ـ أوه، شكراً.. وبهذه المناسبة، لقد استلمت برقية من باريس، من الدوق «ميرتون».. ويا لها من برقية..

واستدارت فجأة، وقالت بلهجة تنم عن السعادة البالغة:

ـ آه يا صديقي (بوارو).. أنني لا أعرف كيف أعبر لك عن سعادتي.. لقد تحررت أخيراً بطريقة لم أكن أحلم بها.. لقد نجوت من إجراءات الطلاق وأحاديث الناس. لقد أصبحت حرة.. حرة.. أتزوج من أشاء. إن الأقدار دائماً تعمل من أجلي.. لقد تمنيت أن يموت «أدجوير».. فمات..

ـ ولكنه مات مقتولاً يا سيدتي..

ـ نعم، طبعاً.. إنني أعرف هذا..

ـ ألم تحاولي أن تعرفي ـ بدافع من الفضول ـ من القاتل..؟

فحملقت في وجهه دهشة وقالت:

ـ ولماذا أعرف؟.. ما قيمة هذا.. إني سأتزوج الدوق بعد أربعة أو خمسة أشهر..

وتمالك (بوارو) نفسه بجهد، وقال:

ـ حسناً يا سيدتي.. ولكن ألم يخطر ببالك قط أن تسألي نفسك:

من هو الشخص الذي قتل اللورد، وأتاح لك هذه الفرصة لتحقيق أملك؟!..

ـ لا..

ـ ألا يهمك أن تعرفي؟..

ـ كل ما أعرفه أن رجال البوليس سوف يقبضون على القاتل.. فهذه هي مهمتهم..

ـ وهي مهمتي أيضاً يا سيدتي..

ـ أحقاً؟.. ما أعجب هذا؟..

ـ ما وجه العجب يا سيدتي؟..

ـ لا شيء.. أتمنى لك النجاح الكامل..

ـ إذن أرجو أن تساعديني بالإجابة على بعض الأسئلة.. من القاتل يا سيدتي في رأيك؟!

فهزت كتفيها باستخفاف، وقالت:

لعلها ابنته «جيرالدين».. آه.. احملي هذه الأشياء إلى الغرفة الأخرى يا «الليس».. شكراً على زيارتك هذه يا سيد (بوارو) ولن أنسى طبعاً محاولتك التي بذلتها لكي أحصل على الطلاق.. أرجو أن أراك بين الحين والآخر..

ولم أر «جين» بعد ذلك إلا مرتين: مرة على المسرح، ومرة في حفل غداء حيث جلست قبالتها. وكانت مشغولة بجمال ملابسها، وشفتاها ترسلان الكلمات التي جعلت (بوارو) يفكر في زوايا جديدة للموضوع كله. أما عقلها فكان مركزاً حول نفسها..

وقال (بوارو) ونحن في الطريق:

ـ إنني لم أر في حياتي عابدة لذاتها مثل «جين ويلكنسون»..!



الفصل الثاني عشر

الابنة..

ما كدنا نصل إلى مسكننا حتى وجدنا رسالة من الآنسة «جيرالدين» تقول فيها لـ (بوارو) إنها تريد أن يقابلها في أي وقت يشاء بقصر والدها . .

وقال (بوارو) :

ـ عجباً! . . ماذا تريد «جيرالدين» مني؟ . . . . حسناً . . هلم بنا يا «هاستنج»

وهناك، في غرفة استقبال ضخمة، أقبلت علينا «جيرالدين» . . فإذا هي ـ كما سبق أن رأيتها ـ فتاة طويلة، ممتقعة الوجه . . غير أنها كانت هادئة تماماً.

قالت :

ـ شكراً على حضورك يا سيد (بوارو) . . وإني آسفة لأني لم أرك في الصباح . .

ـ كنت راقدة يا آنستي . !

ـ نعم . . لقد أصرت الآنسة «كارول» سكرتيرة أبي، على أن أتناول منوماً وأستريح.

وأحسست أن الفتاة تتحدث بلهجة لا تخلو من المرارة . . وقال (بوارو) :

ـ ما هي الخدمة التي يمكن أن أؤديها لك يا آنستي؟ . .

ـ لقد حضرت لزيارة أبي قبل موته بيوم . . أليس كذلك يا سيدي؟!

ـ نعم . .

ـ لماذا؟ . . من أرسلك؟ . . هل كان خائفاً من شيء، أرجوك أن تخبرني؟ . . هل كان هناك من يهدد حياته؟ . . أخبرني يا سيد (بوارو) . . أرجوك . .

وفجأة قال لها (بوارو) :

ـ هل كنت تحبين أباك يا آنستي؟! . .

فغمغمت قائلة :

ـ أحبه . . ! أحبه! . . إنني . . إنني . .

ثم أرسلت ضحكة عالية عصبية وأردفت قائلة :

ـ ما أعجب هذا السؤال؟. . ما أعجبه؟!. .

وفتح الباب فجأة على صوت ضحكة الفتاة الهستيرية، وأقبلت الآنسة كارول قائلة لها :

ـ لا. . لا يا آنسة «جيرالدين». . هذا لا ينبغي. . أرجوك أن تكفي عن هذا الضحك!

ومسحت الفتاة عينيها، وقالت بهدوء بعد أن تمالكت نفسها :

ـ معذرة يا مس «كارول». . إنه سألني سؤالاً أضحكني. . وأنا لا أعرف هل من الأفضل أن يكذب الإنسان أو يصدق. . وإذا شئت الصدق يا سيد (بوارو) فأنا لم أكن أحب أبي. . بل كنت أكرهه!

ـ ما هذا يا عزيزتي «جيرالدين»؟!. .

ـ لماذا أكذب يا آنسة كارول؟. . إنك لم تكرهيه لأنه لم يكن يستطيع أن يسيء إليك. . ولو أساء إليك يوماً، لما بقيت في خدمته. . أي كانت لك الحرية للانفصال عنه، أما أنا فما كان في مقدوري أن أنفصل عنه مهما أساء إلي!. .

ـ ولكن، ما جدوى هذا الحديث الآن؟!

ـ إنني أعبر عن رأيي. . نعم يا سيد (بوارو). . كنت أكره أبي، وإني سعيدة بموته، لأنني تحررت من قسوته. . بل إني أتمنى ألا يقبض رجال للشرطة على القاتل، لأنني لا أشك في أن القاتل لم يرتكب هذه الجريمة إلا لسبب قوي معقول. . !

فقال (بوارو) :

ـ ولكن هذا مبدأ خطير يا آنستي؟

ـ هل القضاء على القاتل يعيد الحياة للقتيل؟!. .

ـ لا . . ولكن يمنعه من أن يرتكب جريمة أخرى، وثانية، وثالثة .. لأن الذي يرتكب جريمة القتل مرة، لا يتردد في ارتكابها مرات ومرات. . !

ـ إنني لا أصدق هذا. . أعني أن الشخص العاقل لا يفعل هذا. .

ـ ما رأيك إذن لو قلت لك إن القاتل قد ارتكب فعلاً جريمته الثانية. .

فهتفت «جيرالدين» قائلة :

ـ ما هذا يا سيد (بوارو). . جريمة أخرى؟. . متى، وأين؟

ـ سأخبرك فيما بعد. .

ـ حسناً. . ولكنك لم تخبرني بعد لماذا زرت أبي أول أمس؟!. .

ـ لقد زرته بناء على رغبة الليدي «أدجوير». .

ـ آه. . حسناً. .

قالت الآنسة «كارول» :

ـ إنني أعجب كيف أمكن لهذه المرأة أن ترتكب جريمة ثانية بمثل هذه السرعة. . !

ـ إذن فأنت تعتقدين يا آنسة كارول أن الليدي «أدجوير» هي القاتلة؟!

ـ طبعاً. .

ـ وأنت يا آنسة «جيرالدين»؟

ـ لا أعتقد أن «جين» تستطيع أن ترتكب جريمة كهذه. .

وفي تلك اللحظة فتح الباب، ودخل رجل يقول معتذراً :

ـ أوه. . إنني آسف. . لم أكن أعلم أن ضيوفاً هنا. .

وقالت «جيرالدين» :

ـ آه. . ادخل. . هذا ابن عمي اللورد «أدجوير» الجديد. . وهذا السيد (بوارو) يا (رونالد).

وقال «رونالد» أو اللورد «أدجوير» الجديد :

ـ شكراً يا «دينا». . كيف حالك يا سيد بوارو؟. . هل وصلت إلى شيء؟

وفجأة تذكرت أنني رأيت هذا الشاب جالساً مع «شارلوت» في مطعم فندق سافوي يوم تناولنا جميعاً العشاء مع «جين ويلكنسون» في جناحها الخاص. .

إنه الكابتن «رونالد مارش». . الذي أصبح بعد وفاة عمه اللورد «أدجوير». .



الفصل الثالث عشر

ابن الأخ

قال «رونالد» عندما هم (بوارو) بالانصراف :

ـ لسوف أخرج معك يا سيد (بوارو) . .

ثم أردف وهو يمضي معنا إلى الباب الخارجي :

ـ هكذا الحياة . . بالأمس كنت صعلوكاً مديناً، واليوم سيداً كبيراً موفور الثراء ولعلك تعرف يا سيد (بوارو) أن عمي طردني من قصره منذ ثلاث سنوات . .

ـ سمعت شيئاً من هذا القبيل . .

وانحرف الشاب نحو غرفة المائدة فجأة، ثم قال :

ـ ما رأيك في كأس شراب يا سيد (بوارو) ؟! . . إنني أريد أن أتبادل معك الحديث لحظة . .

ـ بكل سرور يا سيدي . .

ولما جلسنا قال :

ـ هل تعرف أن «جين ويلكنسون" لم تكن حتى اليوم تعرف من أنا؟؟

ـ لأن عمي طردني من قصره قبل زواجه منها بثلاثة أشهر . .

ثم أردف قائلاً :

ـ أعتقد أنك لا تظن أنها هي القاتلة . . لا شك أنها عرفت كيف تخدعك أنت أيضاً . .

فقال (بوارو) :

ـ لعلك لا تعرف يا لورد «أدجوير» أن «جين» كانت في وقت وقوع الجريمة تتناول العشاء في بيت السير «مونتاج» بمنقطة «تشيزويك» . .

فهتف «رونالد» قائلاً :

ـ إذن فقد ذهبت فعلاً بعد أن قالت إنها ستعتذر عن الذهاب.. آه.. لا.. لا. يا سيد (بوارو).. أنني أعرف ما يدور بذهنك.. إنك تقول في نفسك الآن إن هذا الشاب «رونالد» لا بد أن يكون القاتل لأنه أكثر الناس استفادة من وراء هذه الجريمة، ولكن مهلاً.. لقد زرت عمي في صباح أول أمس لأني كنت في حاجة شديدة إلى المال.. ولكنه طردني دون أن يعطيني شيئاً.. لا.. لا.. انتظر يا سيد (بوارو) أرجوك.. إن لدي ما يثبت ابتعادي عن مسرح الجريمة ساعة وقوعها.. إنني كنت مع أسرة دورتيمر ـ السيد والسيدة «دور تيمر» وابنتهما الشابة الحسناء. وهي أسرة موفورة الثراء وتهوى الموسيقى إلى حد الجنون. ولهذا فإنها تحجز لنفسها دائماً مقصورة في مسرح كوفنت جاردن الموسيقى، وتدعو إلى هذه المقصورة بين الحين والآخر الشبان الذين يصلحون أزواجاً للابنة الحسناء. وقد دعاني السيد والسيدة «دورتيمر» ليلة أمس.. وأنا في الواقع لا أحب الموسيقى، ولكنني أحب العشاء في قصر الأسرة الفاخر، وأحب قضاء السهرة مع الابنة الحسناء.. وهذا ما حدث.. فبعد أن تناولنا العشاء جميعاً في القصر، ذهبنا لقضاء السهرة في المسرح.. وقد استمتعت بها فعلاً مع «راشيل» في المقصورة.. و «راشيل» هذه هي ابنة آل «دورتيمر» إذا كنت لا تعلم.. ويهودية أيضاً.. آه.. إنك تسأل متى غادرنا المسرح..؟.. لقد غادرناه طبعاً بعد منتصف الليل.. وأعتقد أن آل «دورتيمر» قوم شرفاء محترمون، لا يمكن الطعن في شهادتهم..

وضحك «رونالد» ثم أردف قائلاً:

ـ معذرة.. يبدو أنني أثرثر أكثر مما ينبغي..

فقال (بوارو) بسرعة:

ـ لا.. لا.. مطلقاً ولكن أرجو أن تجيب عن سؤال واحد..

ـ بكل تأكيد..

ـ منذ متى وأنت تعرف الآنسة «شارلوت آدامز»؟

ولم يستطع الشاب أن يخفي دهشته وارتباكه، وهو يقول بحدة:

ـ لماذا تريد أن تعرف؟. ما علاقة هذا بموضوعنا..؟

ـ مجرد فضول. .

ورمقه الشاب بنظرة حادة، ثم قال:

ـ حسناً. . أذكر أنني تعرفت عليها منذ عام أو أكثر قليلاً.

ـ وهل كنت وثيق الصلة بها؟

ـ إلى حد ما. . إنها ليست من الفتيات اللاتي يجعلن أحداً يتصل بهن أكثر مما ينبغي.

ـ ومع ذلك أحببتها. .؟!

ـ عجباً! . . لماذا توجه إلى كل هذه الأسئلة عن تلك الفتاة؟ . . لأنك رأيتني معها في مطعم فندق سافوي تلك الليلة؟ . . حسناً. . الواقع أنني معجب بها وأميل إليها كثيراً.

ـ إذن سوف يحزنك الخبر. . !

ـ أي خبر تعني؟! . .

ـ خبر وفاتها. .

فوثب «رونالد» في دهشة وانزعاج وهو يهتف:

ـ ماذا تقول؟ . . وفاة «شارلوت»؟! . . إنك تمزح يا سيدي، لقد كانت في أحسن حال عندما رأيتها آخر مرة. .

ـ متى كان هذا؟ . .

ـ أول أمس، على ما أذكر. .

ـ على كل حال فقد ماتت. .

ـ كيف؟ . . حادثة. .؟!

ـ بجرعة كبيرة من مسحوق الفيرونال المنوم. .

ـ يا للأسف! . . لقد كانت تنوي إحضار أختها الحبيبة من أمريكا لتعيش معها هنا أحسن حياة. . يا للأسف. .

ـ نعم يا لورد «أدجوير». . إن الأمر ليدعو إلى الأسف أن يموت الإنسان شاباً مليئاً بالآمال والحياة. . حسناً. . طاب يومك. .

وفيما نحن نخرج من الباب، كدت أصطدم بالآنسة «كارول» التي قالت معتذرة :

ـ سيد (بوارو).. لقد قيل لي إنك لم تنصرف عن القصر، وكنت في طريقي لأدعوك إلى غرفتي بالطابق الأول، فإني أريد أن أقول لك شيئاً..

ولما أغلقت علينا باب غرفتها الخاصة من الداخل، قالت بلا مقدمات :

ـ إنني أريد أن أتحدث بشأن هذه الطفلة المسكينة «جيرالدين».. أؤكد لكما أنها لا تعني حقاً ما قالت عن أبيها.. إنني أعترف أنها عاشت في رعب منه، لأنه لم يكن يعرف كيف يربي الأبناء على الحب والحنان.. كان رجلاً غريب الأطوار فعلاً..

ـ تماماً يا آنستي..

ـ كان يحب دائماً أن يجعل كل إنسان يخشاه.. وكان يستمد من هذا الشعور متعة كبيرة والواقع أنه كان آخر رجل يصلح لأن يكون زوجاً..!

ـ إذن ألم يفكر في الزواج مرة ثالثة؟

ـ كيف يفكر في هذا وزوجته على قيد الحياة؟

ـ عن طريق منحها فرصة الطلاق..

ـ لا أظن.. أعتقد أنه نال كفايته بعد أن تزوج مرتين..

ـ إذن فأنت تعتقدين أنه لم يكن يفكر في الزواج مرة ثالثة.. فكري ملياً يا آنستي..

ـ إنني لا أدري لماذا تصر على هذه النقطة.. الواقع أنه لم يكن يفكر في شيء من هذا القبيل..



الفصل الرابع عشر

الأسئلة الخمسة

قلت لـ (بوارو) ونحن في الطريق بسيارة مأجورة إلى مسكننا :

ـ لماذا تحدثت مع الآنسة «كارول» عن احتمال زواج اللورد «أدجوير» مرة ثالثة؟ . .

ـ لأنني أردت أن أجد المبرر المعقول الذي جعله يوافق فجأة على طلاق زوجته «جين» منذ ستة أشهر . . لابد أن هناك سبباً . .

فقلت في حذر :

ـ هذا ما قاله هو، وليس لدينا أي دليل عليه . .

ـ أصبت يا «هاستنج» ليس لدينا أي دليل على أنه كتب خطاباً وأرسله. ولكن يمكننا أن نسأل في هذه الحالة، لماذا كذب علينا؟ . . وإذا لم يكن كاذباً، فلا بد أنه قرر الزواج مرة ثالثة، ولهذا وافق على طلاق «جين» بعد أن كان مصراً على الرفض . .

ـ ولكن الآنسة «كارول» لا يعتمد عليها في الشهادة . . إنها عادة تستشهد بما تعتقده هي وليس بما تراه في الواقع. هل تذكر موقفها من الزائرة التي زارت اللورد في ليلة مقتله، وكيف أكدت أنها رأت وجه الليدي «أدجوير»؟

وفجأة قال بوارو :

ـ ولكن . . دعنا من الآنسة «كارول» الآن . . ما رأيك في اللورد «أدجوير» الجديد، أعني الكابتن «رونالدمارش»؟!

ـ شاب متلاف عابث حقاً، ولكنه حاد الذكاء . .

ـ و «جير الدين»؟! . .

ـ فتاة جميلة مسكينة . . وأعتقد أن صراحتها في حديثها عن أبيها تحمل دليل براءتها . .

ـ إن الصراحة هي طابع هذه الأسرة . . ألم تسمع أقوال الكابتن «رونالد»؟

ـ نعم. . نعم. . كان صريحاً أكثر من اللازم. .

ـ الواقع إنه أراد أن يقطع على الجميع مجرد التفكير في اتهامه. .

ولكنني عرفت كيف أروعه؟

ـ أتعني حين ذكرت له نبأ وفاة «شارلوت»؟

ـ نعم. .

ـ إنني أعتقد أنه كان صادقاً في دهشته وجزعه. .

ـ من يدري؟!.

ـ ولكن لماذا أسرف في إخبارنا بكل شيء، حتى بحادث طرد عمه له آخر مرة، أي في صباح أول أمس؟. .

ـ لأنه يعلم أن كل شيء سوف يعرفه رجال الشرطة في الوقت المناسب. . ولهذا فهو يسبقهم ويذكر هذه الحقائق ليبعد عنه كل اشتباه في أمره. والآن. . لقد آن لنا أن نتناول عشاءنا، وسوف أقوم بزيارة خاصة في الساعة التاسعة.

وفي أثناء تناولنا العشاء، قال (بوارو) :

ـ إن في ذهني الآن خمسة أسئلة تدور حول مصرع اللورد «جين» :

أولاً : لماذا غير اللورد رأيه فيما يختص بموضوع طلاقه من «جين»؟

ـ ثانياً : ماذا حدث للخطاب الذي قال إنه أرسله لزوجته وهي في هوليوود؟

ـ ثالثاً : ما معنى هذه الإمارات القاسية العنيفة التي رأيتها أنت على وجهه، ونحن نغادر غرفة مكتبته في صباح أمس؟

ـ رابعاً : النظارة الطبية. . لقد ثبت أن «جين ويلكنسون» و «شارلوت آدامز» لا يستعملان نظارات طبية. . فما معنى وجودها في حقيبة يد «شارلوت»؟

ـ خامساً : لماذا اتصل شخص ما تليفونياً بـ «جين ويلكنسون» ليتأكد من أنها في حفلة السير «مونتاج». . أو من هو هذا الشخص؟!

وبعد برهة صمت، استطرد (بوارو) قائلاً :

ـ هذه يا صديقي هي الأسئلة التي تعذبني. . فلو أنني عرفت الإجابة عنها لأمكنني أن أشعر بالرضا والاطمئنان. .

وهنا قلت :

ـ ولكن هناك أسئلة أخرى كثيرة. .

ـ ما هي؟!

ـ من الذي أغرى «شارلوت» بهذه الدعابة؟. . أين كانت في ذلك المساء قبل العاشرة وبعدها؟ . . من هو «د» الذي أهداها علبة المسحوق الذهبية؟

ـ هذه أسئلة موضوعية قد تعرف الإجابة عنها في أية لحظة. . أما أسئلتي فهي افتراضية، الغرض منها الوصول إلى نتائج منطقية. .

ـ حسناً. . لقد تحدثت عن زيارة ستقوم بها الليلة. .

ـ نعم. . لسوف أتصل تليفونياً لأعرف إن كان الموعد مناسباً. .

ومضى إلى آلة التليفون. . ثم عاد بعد قليل يقول :

ـ هلم. . إن الوقت مناسب. .

ـ إلى أين؟ . .

ـ إلى بيت السير «مونتاج كورنز» في تشيزويك. . فإنني أريد أن أعرف المزيد عن تلك المكالمة التليفونية. .



الفصل الخامس عشر

المكالمة التليفونية

كانت الساعة العاشرة عندما بلغنا منزل السير «مونتاج كورنر» بضاحية تشيزويك. وكان بيتاً كبيراً يقع في نهاية حديقة واسعة الأرجاء. وقد استقبلنا تشريفاتي، ومضى بنا إلى غرفة واسعة بالطابق الأول، تطل على النهر. وكان فيها أربعة أشخاص، كانوا يلعبون البريدج. فلما دخلنا، نهض أحد هؤلاء الجالسين، وقال مرحباً :

ـ إنه لشرف كبير أن نستقبلك هنا يا سيد (بوارو). .

ونظرت بشيء من الاهتمام إلى السير مونتاج كورنر، فرايت أن ملامحه تدل بوضوح على أنه يهودي. . وكان ذا عينين صغيرتين ذكيتين، قصير القامة، متكلف الحركات.

وقال مشيراً برأسه إلى اثنين من ضيوفه :

ـ دعني أقدمك إلى السيد والسيدة «ويديبرن». .

وقال السيد «ويديبرن» مبتسماً :

ـ أعتقد أننا التقينا من قبل. .

ـ وهذا هو السيد «روس». .

وكان «روس» شاباً في نحو الثانية والعشرين من العمر، له. وجه لطيف، وشعر ناعم مصقول. .

وقال (بوارو) معتذراً :

ـ لقد أفسدت عليكم متعة اللعب. . أنني شديد الأسف. .

ـ لا. . لا. . إننا لم نبدأ بعد. . هل تحب أن تشرب بعض القهوة يا سيد (بوارو)؟

ورفض (بوارو) القهوة، وقبل كأساً من البراندي. . وفيما نحن نشرب، أخذ السير «مونتاج كورنر» يتحدث في مختلف الموضوعات. .

تحدث عن الطباعة اليابانية، والطلاء الصيني، والسجاجيد العجمية، وعن الفنانين الفرنسيين، والموسيقى العصرية، ونظريات أينشتين. .

ثم تراخى في مقعده، وراح يتأملنا راضياً عن نفسه. . وكانت الغرفة في الواقع دليلاً على ما يتمتع به من ثقافة واسعة وإطلاع عميق. .

وقال (بوارو) أخيراً :

ـ إن الحديث عن الجريمة في مثل هذا الجو الفني الثقافي الجميل يعتبر دليلاً على فساد الذوق، ولكن للضرورة أحكامها يا سير «مونتاج». . !

ـ طبعاً. . طبعاً. . يا سيد (بوارو). .

وقالت السيدة «ويدبيرن» :

ـ أعتقد أنك جئت بخصوص السيدة «جين ويلكنسون». . !

ـ نعم يا سيدتي. . لقد كانت هنا في هذا المنزل ليلة أمس لحسن حظها. .

فقال السير «مونتاج» :

ـ نعم. . لقد دعوتها ـ على غير سابق معرفة بها ـ لأني أعلم أنها ممثلة جميلة موهوبة يمكن أن أقدم لها خبرتي وتجاربي. وقد تبين لي أنها كانت تنوي أن تنشيء مسرحاً خاصاً بها، ولكنني أقنعتها بأن هذا العمل سيؤثر على مواهبها كممثلة متفرغة. .

وقالت السيدة «ويدبيرن» :

ـ إن «جين» سيدة محظوظة فعلاً. . لقد كانت تتمنى أن يموت زوجها لكي تتحرر من قيوده الزوجية. . وها هي ذي قد تحققت أمنيتها. ولا شك أن الطريق أصبح ممهداً لزواجها من الدوق «ميرتون» رغم أن والدته تكاد تفقد عقلها في فرط الغضب والحزن. . !

وقال السير «مونتاج» :

ـ الواقع أن الليدي «أدجوير» سيدة مثقفة، لقد تحدثت عن الأساطير الإغريقية حديث إنسان مثقف يصلح لأن يكون عضواً في المجتمع الراقي. .

وهنا ابتسمت لنفسي، وأنا أتصور «جين» وهي لا تقول أكثر من «نعم» أو «لا» عند مناقشة مثل هذه الموضوعات الثقافية. وكان السير «مونتاج» من النوع

الذي يرضيه أن يصغي الناس إليه باهتمام. . وهذا الاهتمام وحده يعتبر ـ في رأيه ـ دليلاً على الثقافة الواسعة! . .

ـ وقال (بوارو) أخيراً :

ـ أرجو أن تسمح لي يا سير «مونتاج» أن أخبرك عن السبب في زيارتي. . لقد جئت لألقي بعض الأسئلة على الخدم بشأن تلك المحادثة التليفونية التي قطعت على «جين ويلكنسون» تناولها الطعام هنا. .

واستدعى السير «مونتاج» التشريفاتي الذي قال له (بوارو) :

ـ من الذي رد على التليفون عندما صلصل جرسه؟ . .

ـ أنا يا سيدي. .

ـ هل طلب المتحدث أن يتكلم مع الليدي «أدجوير» أو مع الآنسة «جين ويلكنسون»؟

ـ الليدي «أدجوير» يا سيدي. .

ـ وماذا قال أو قالت على وجه التحديد؟

ففكر التشريفاتي برهة، قبل أن يقول :

ـ كان صوت سيدة أولاً. . وقد هتفت في التليفون قائلة :

«هاللو. . أهذا رقم تشيزويك 43434؟» فلما قلت : «نعم» قالت : «هل الليدي أدجوير تتناول عشاءها لديكم؟» فلما أجبت بالإيجاب، قالت : «أريد أن أتحدث معها» فذهبت وأخبرت الليدي، فنهضت وجاءت معي إلى مكان التليفون. .

ـ وبعد ؟! . .

ـ تناولت المسماع، وقالت لي وأنا أهم بالانصراف : «إن المتحدثة كما يبدو شخصية عابثة، لأنها ضحكت وقطعت المكالمة»

وهنا قالت السيدة «ويدبيرن» :

ـ هل تعتقد أن لهذه المكالمة التليفونية علاقة بمصرع اللورد «أدجوير» يا سيد (بوارو)؟

ـ لا أستطيع أن أجزم الآن يا سيدتي. .

وشكر (بوارو) التشريفاتي، ثم جلسنا فترة أخرى من الوقت نتبادل الأحاديث في موضوعات مختلفة، وكان الشاب «دونالدروس» على جانب كبير من المرح وخفة الظل، مما جعل الوقت يمر سريعاً لطيفاً..

ولما انصرفنا، أصر «روس» على أن يصحبنا حتى نستقل سيارة مأجورة.. وفي الطريق أخبرنا «روس» أنه يعمل ممثلاً، ولكنه لم يبلغ بعد مدارج الشهرة، وأن كان يأمل أن يشتهر في يوم ما..

وسأله (بوارو) قائلاً:

ـ هل تعرف «شارلوت آدامز» الممثلة الأمريكية؟

ـ لا.. لقد قرأت خبر وفاتها في صحف المساء فقط.. بجرعة كبيرة من المنوم، مسكينة..

ـ نعم.. وكانت ممثلة بارعة أيضاً.. ألم ترها وهي تمثل؟

ـ لا، لسوء الحظ..

وهنا ظهرت سيارة مأجورة، فاستوقفها «روس» وهي يقول ضاحكاً:

ـ هل تعرفان أننا كنا أمس على مائدة العشاء ثلاثة عشر شخصاً، لأن الرابع عشر اعتذر عن الحضور في آخر لحظة.. وابتسمت قائلاً:

ـ ومن الذي نهض عن المائدة أولاً؟

فأرسل الشاب ضحكة عصبية، وقال:

ـ أنا.. وهذا يعني أنني سأواجه نحساً قريباً.

وضحكنا معه، ثم ودعناه وانصرفنا..



الفصل السادس عشر

مناقشات موضوعية

ولما وصلنا إلى البيت، وجدنا المفتش «جاب» في انتظارنا.. وقد قال مستبشراً:

ـ خطر لي أن أزوركما لأتبادل الرأي والحديث مع السيد (بوارو)

ـ آه.. شكراً يا عزيزي..

ـ ألم تستطع أن تعرف شيئاً عن ازدواج شخصية الليدي «أدجوير» يا سيد (بوارو)؟.. إن هذا اللغز يحيرني.. من هي السيدة التي دخلت قصر اللورد «أدجوير» منتحلة اسم زوجته وشخصيتها؟

ـ هذا ما أريد أن أحدثك عنه يا سيد «جاب».. هل تعرف ممثلة اسمها «شارلوت آدامز»..؟

ـ لقد سمعت عن هذا الاسم..

ـ إنها الممثلة الأمريكية التي تقلد الشخصيات المشهورة على المسرح..

ـ وما شأنها..؟

فلما أخبره (بوارو) عن رأيه في أنها هي التي انتحلت شخصية الليدي «أدجوير» وأنها ماتت بعد ذلك ـ وفي نفس الليلة ـ بجرعة كبيرة من المنوم، هتف المفتش «جاب» قائلاً:

ـ نعم.. نعم.. هذا يفسر لنا الشيء الكثير من غموض هذه المشكلة. ولكنني لا أتفق معك في أنها ذهبت ـ بناء على رغبة شخص ما ـ لتقوم بدعابة كبيرة، وأعتقد أنها ذهبت لغرض آخر..

ربما لكي تبتز أموالاً من اللورد «أدجوير».. فلما عجزت، تشاجرت معه، ثم أغمدت المبراة في أسفل عنقه، وعند عودتها إلى المسكن أدركت هول ما جنت يداها فقررت أن تنتحر.. هذا هو التعليل المنطقي للمشكلة كلها..

ـ وهل تعتقد أن هذا التعليل يوضح غموض كل شيء؟

ـ طبعاً، هناك أشياء كثيرة ستبقى غامضة.. ولكن التحقيق والمحاكمة سوف يكشفانها..

وعندئذ أخبره (بوارو) عن الرسالة التي كتبتها «شارلوت» قبل موتها، لترسلها إلى أختها في أمريكا. ثم قال:

ـ لو استطعنا أن نحصل على هذه الرسالة، أو على صورة منها، لأمكننا أن نهتدي إلى حقائق كثيرة خافية عنا الآن..

فهز المفتش «جاب» كتفيه، وقال وهو يخرج مفكرته وقلمه:

ـ حسنا.. إن هذا أمر ميسور.. لسوف اتصل بشرطة نيويورك في هذا الشأن..

ثم أردف قائلاً:

ـ ولكنني ما زلت متمسكاً برأيي في أن «شارلوت» هي القاتلة، لأنه لا يمكن الاشتباه في أحد آخر.. إن الليدي «أدجوير» الحقيقية كانت في حفلة عشاء بمنزل السير «مونتاج»، والشاب «رونالدمارش» الذي ورث اللقب عن عمه، ثبت لي ـ بالتحريات الدقيقة ـ أنه أمضى المساء والسهرة كلها مع أسرة «دور تيمر» أولاً في البيت، ثم في المسرح..

ـ وما رأيك في ابنة اللورد «جيرالدين»؟

ـ كانت أيضاً خارج القصر في هذه الليلة.. تناولت عشاءها مع أسرة كارتيو وست، ثم أمضت السهرة في نفس المسرح الذي كان فيه ابن عمها «رونالدمارش» مع أسرة «دور تيمر»، ثم عادت إلى قصرها في صحبة أسرة «كارتيو».. أما السكرتيرة ـ الآنسة «كارول» ـ فإنها سيدة نشيطة مثقفة مهذبة على جانب كبير من الكفاءة وضبط النفس.. وأما التشريفاتي الشاب، فإني أرتاب في ماضيه، ولكنني لا أستطيع أن أقول إن هناك أي سبب يدعوه لارتكاب جريمة كهذه..

وقال (بوارو) بعد برهة صمت:

ـ ألم تتوصل إلى جديد من الحقائق يا سيد «جاب»؟

ـ توصلت.. عرفت أن أحد مفاتيح الباب الخارجي للقصر مفقود، وعرفت أيضاً

أن اللورد «أدجوير» صرف أمس شيكا.. لم يكن كبيراً، وإنما بمائة جنيه فقط.. نقوداً فرنسية للاستعانة بها في رحلته إلى باريس.. وقد اختفى هذا المبلغ..

ـ من قال لك هذا؟!

ـ الآنسة «كارول».. لقد صرفت هي المبلغ وسلمته للورد داخل مظروف في نحو الثالثة والنصف بعد الظهر، وكان هو في غرفة مكتبه.. وقد تناوله ووضعه على المكتب أمامه..

ـ إن هذا يزيد الأمور تعقيداً..

ـ أو ربما يزيدها تسهيلاً.. وبهذه المناسبة يقول الطبيب إن الطعنة القاتلة حدثت من آلة حادة تشبه المبراة التي تستعمل في المكاتب لتقطيع الأوراق أو بري الأقلام.. غير أنها حادة جداً ذات طرف مدبب..

وفجأة قال (بوارو):

ـ أين كان يقيم «رونالدمارش».. أعني اللورد «أدجوير» الجديد قبل أن ينتقل إلى قصر عمه؟..

ـ في شارع مارتن المتفرع من سانت جورج رود..

ـ حسناً.. لم يبق أمامنا أحد له مصلحة في القضاء على اللورد «أدجوير» إلا الدوق «ميرتون»..

وهنا ضحكنا جميعاً..



الفصل السابع عشر

الرجل الآخر

لم يكن اليوم التالي مجالاً لنشاطنا بقدر ما كان مجالاً لنشاط المفتش «جاب» الذي أقبل علينا مهتاجاً يقول :

ـ لقد خدعت أخيراً . .

ـ مستحيل يا صديقي . .

ـ لا . . خدعت . لقد تركت ذلك اللعين . . أعني تشريفاتي قصر اللورد «أدجوير» يفر من بين أصابعي . .

ـ هل اختفى؟!

ـ نعم . . وليست هذه أول مرة يختفي فيها من قبضة رجال المباحث . .

فقال (بوارو وهو يقدم شراباً مهدئاً للمفتش :

ـ هل تعني أنه مرتكب الجريمة؟!

ـ لا . . لا . . أنني ما زلت مصراً أن «شارلوت آدامز» هي القاتلة . . ولكنني آسف إذ تركت هذا اللعين يفر من بين أصابعي، لا شك أنه هو الذي سرق المائة جنيه واختفى . . لقد كان مطلوباً القبض عليه لعدد كبير من السرقات . .

فابتسم (بوارو) وقال :

ـ لا بد أن يقع بين أيديكم يوماً . . ولكن، لماذا تصر على أن «شارلوت آدامز» هي القاتلة؟!

ـ هذا رأيي وإن كنت لم أستطع حتى الآن أن أؤيده بالدليل المادي . لقد فتشت مسكنها، فلم أجد شيئاً يثير الريبة . . كل حاجياتها مرتبة، وليس هناك أية مفكرات أو مذكرات غير رسالتين من أختها المقيمة في نيويورك . .

ـ يبدو أنها كانت فتاة متحفظة .

ـ ومثقفة أيضاً. . لقد وجدت في مسكنها عدداً كبيراً من الكتب القيمة. .

ـ وماذا أيضاً؟. .

ـ وعرفت أيضاً أنها كانت صديقة حميمة لفتاة تدعى «جيني درايفر» صاحبة محل قبعات. .

ـ وما رأيك عنها؟. .

ـ رأيي أنها فتاة ذكية جداً أو جذابة جداً، ولكنه لا تتجاوب مع رجال المباحث إطلاقاً. . ولكن ماضيها نظيف. والآن. . أرى أنه لا بد لي من السفر إلى باريس لأعرف المصدر الذي جاءت منه هذه العلبة الذهبية. . وعلى ذكر باريس أقول إن اللورد «أدجوير» كما أثبتت التحريات، ذهب إلى هذه المدينة بضع مرات في تشرين الثاني وكانون الأول الماضيين لشراء بعض التحف من مزادات عالمية. . ولا شك أن التحقيق سيؤجل غداً إلى موعد آخر حتى أعود من رحلتي. .

وهنا قلت له مواسياً :

ـ إنك موفور النشاط يا سيدي المفتش. .

ـ نعم. . هذا بينما يجلس السيد (بوارو) هنا مستريحاً مستمتعاً بالكسل. .

وعندئذ فتحت الخادمة الباب، وقالت :

ـ إن السيد «بريان» قد حضر يا سيدي. .

ونهض «جاب» قائلاً :

ـ لسوف أنصرف أنا. . يبدو أن جميع الممثلين أصبحوا يستشيرونك يا سيد (بوارو). . ولعلك جمعت ثروة كبيرة. . وضحك (بوارو) قائلاً :

ـ بمناسبة الحديث عن الثروة، كيف وزع اللورد «أدجوير» المتوفي ثروته في الوصية التي تركها؟

ـ ترك كل أمواله التي لا علاقة لها باللقب لابنته «جير الدين» وأوصى بمبلغ خمسمائة جنيه للآنسة «كارول» وبمبالغ صغيرة مختلفة لبقية الخدم. .

ـ ومتى كتب هذه الوصية؟. .

ـ بعد أن هجرته زوجته «جين ويلكنسون» بعام. . وهو بهذه المناسبة لم يوص لها

بشيء إطلاقاً! . . والآن طاب يومكما . .

وأقبل «بريان مارتن» وهو يقول معتذراً :

ـ إنني آسف جداً لإزعاجك هكذا يا سيد (بوارو) . . والواقع ضيعت الكثير من وقتك بلا جدوى . .

ـ حسناً . . تفضل بالجلوس . .

ـ لقد اتصلت بالفتاة التي سبق أن حدثتك عنها بشأن الرجل ذي السن الذهبية الذي كان يطاردني . .

ـ آه . . أعتقد أنك جئت لكي أنفض يدي من هذا الموضوع . .

ـ تماماً . كيف عرفت يا سيد (بوارو)؟!

ـ الواقع أن الفتاة المذكورة رفضت أن تتطور الأمور إلى تدخل أحد من رجال المباحث الخاصة، خشية الفضائح! . . والآن . . ما هي أتعابك يا سيدي؟

ـ لماذا الأتعاب وأنا لم أفعل شيئاً؟ . .

ـ لقد أخذت من وقتك الثمين شيئاً كثيراً . .

ـ لا عليك من هذا . .

ـ ألم يكن ذلك الرجل الذي رأيته منصرفاً من رجال اسكتلانديارد؟

ـ أجل . . إنه المفتش «جاب» . .

ـ آه . . إنني لم أره جيداً . . الواقع أنه زارني وألقى علي أسئلة كثيرة عن تلك المسكينة «شارلوت آدامز» . .

ـ هل كنت وثيق الصلة بها يا سيد «مارتن»؟

ـ ليس إلى حد كبير . . كنت أعرفها وهي صبية في أمريكا . . وقد قابلتها بعد ذلك مرات قليلة . . والواقع أنني آسف جداً لموتها . .

ـ هل كنت تميل إليها؟

ـ نعم . . كانت لطيفة بحيث يستريح الإنسان في الحديث معها . .

ـ تعني إنه كانت لها شخصية عطوف زاخرة بالحنان؟!

ـ نعم . . وأعتقد أنها انتحرت . . وإن كنت لا أجزم، فقد كانت فتاة متحفظة لا

تكشف لأحد عن حياتها الخاصة..

وبعد برهة صمت، قال (بوارو) :

ـ إن حادث مصرع اللورد «أدجوير» أصبح حديث المجتمع كله..

ـ إنه حادث مثير جداً يا سيد (بوارو).. ألم تعرف بعد من يحتمل أن يكون القاتل؟.. لقد ارتفع ظل الاتهام عن «جين» نهائياً.. أليس كذلك؟

ـ طبعاً.. طبعاً.. ولكننا لم نستطع بعد أن نركز الاتهام في شخص معين..

وهنا نهض الممثل «بريان مارتن» لينصرف قائلاً :

ـ حسناً.. شكراً لك يا سيد (بوارو).. إنني أعتذر مرة أخرى عن إزعاجي لك بموضوع الرجل ذي السن الذهبية..

ـ لا.. لا داعي للاعتذار.. طاب يومك..

إنني لا أنوي أن أصف هنا ما دار في جلسة التحقيق الخاصة بمقتل اللورد «أدجوير» أو وفاة «شارلوت آدامز».. لأن التحقيق في مصرع اللورد أجل إلى جلسة أخرى، وأما بصدد وفاة «شارلوت آدامز» فقد أصدر المحقق قراره بأنها حدثت قضاء وقدراً..

على أن الشيء الجدير بالذكر، هو أن الطبيب الشرعي أثبت عن طريق تحليل بقايا المواد الغذائية في أمعاء اللورد القتيل، بأن الوفاة حدثت فيما بين الساعة العاشرة والساعة الحادية عشرة مساء، مع الترجيح بأنها حدثت في وقت أقرب إلى العاشرة منه إلى الحادية عشرة..

وكذلك ينبغي أن أذكر أن أحداً خارج نطاق المحققين، لم يعرف شيئاً عن انتحال «شارلوت آدامز» لشخصية الليدي «أدجوير» وذهابها إلى قصر اللورد في ليلة مقتله لأمر ما..

وفي نفس الوقت كان «جاب» لا يكف عن البحث والتحري في كل مكان، بينما كان (بوارو) لا يكاد يفعل شيئاً.. ومن ثم قلت له ذات يوم وأنا في دهشة من موقفه هذا :

ـ هل نفضت يديك من موضوع اللورد «أدجوير» ؟!..

ـ لا.. طبعاً..

ـ إذن ماذا تفعل؟!

ـ أنتظر..

ـ تنتظر ماذا؟!

ـ أنتظر تحريات «جاب» التي سأثبت بها نظريتي..

ـ إذن فقد كونت نظرية في هذه المسألة؟

ـ طبعاً يا عزيزي..

ـ وأقبل المفتش «جاب» بعد يومين مسروراً رغم أنه لم يستطع أن يصل إلى شيء في تحرياته بباريس عن مصدر العلبة الذهبية، إلا أنه قال مبتهجاً:

ـ إننا نتقدم ببطء حقاً.. ولكننا نتقدم في الطريق الصحيح على كل حال..

فقال له (بوارو):

ـ أهنئك يا عزيزي.. ماذا اكتشفت من جديد؟

ـ اكتشفت أن سيدة شقراء أودعت حقيبة من نوع حافظات الورق في غرفة الأمانات بمحطة يوستون في الساعة التاسعة من مساء يوم الجريمة. ولما رأى الموظفون حافظة الأوراق الخاصة بالآنسة «شارلوت آدامز» قالوا إنها هي، لأنها كانت أمريكية الصنع، ويمكن التعرف عليها بسهولة..

ـ آه.. محطة يوستون؟.. أكبر محطة بالقرب من ريجنت جيث لا شك أنها ذهبت إلى دورة مياه هذه المحطة، وتنكرت في هيئة «جين ويلكنسون» ثم تركت الحافظة في الأمانات. ولكن.. متى عادت لتستردها؟

ـ في نحو العاشرة والنصف.. وقال الموظف إن السيدة نفسها هي التي جاءت لتستردها..

وأومأ (بوارو) برأسه، بينما أردف المفتش «جاب» قائلاً:

ـ وقد وصلت إلى شيء آخر.. عرفت أن «شارلوت آدامز» ذهبت إلى مطعم ليونز كورنر هاوس في شارع ستراند في نحو الحادية عشرة مساء..

ـ هذا اكتشاف عظيم.. كيف توصلت إلى هذه الحقيقة؟

ـ كان أحد محرري صحف الإثارة والتشويق قد كتب قصة مثيرة عن الساعات

الأخيرة في حياة «شارلوت آدامز»، وعن العلبة الذهبية التي كان تحمل فيها مسحوق الفيرونال. ويبدو أن خادمة بالمطعم قرأت هذه القصة، وتذكرت أن سيدة ما تناولت العشاء في المطعم منذ بضعة أيام وكانت معها علبة ذهبية كالتي وصفها المحرر في قصته .. ويبدو أنها أسرفت في الحديث عن هذا الأمر، وهي تحسب أن الصحيفة ربما أعطتها مبلغاً من المال مقابل معلومات.

ـ وكيف عرفت أنت بهذا كله؟

ـ بعلاقاتي الخاصة مع محرري الصحيفة التي نشرت القصة.. وسرعان ما عرفت من المحرر اسم خادمة المطعم، وانطلقت إليها.. وهناك قابلتها، وأطلعتها على صورة «شارلوت آدامز» فتعرفت عليها، فوراً.. وقالت إنها كانت ترتدي ملابس سوداء وقبعة سوداء، ومعها حافظة أوراق. وقد أثارت هذه الحافظة فضول خادمة المطعم، لأنه ليس من المعتاد أن تحمل السيدات الأنيقات مثل هذه الحافظات. ولاحظت أيضاً أن السيدة كانت تنظر في ساعة يدها بقلق بين الحين والآخر.. وعندما قدمت إليها قائمة الحساب، لاحظت أنها أخرجت من كيس يدها الجلدي هذه العلبة الذهبية وفتحت غطاءها ونظرت إليه برهة وهي مسرورة، ثم وضعت العلبة على المائدة وأخذت تبتسم حالمة النظرات. وقد قالت الخادمة بالحرف الواحد «وتمنيت لو كانت لدي علبة ذهبية كهذه، عليها الأحرف الأولى من اسمي مرصعة باليواقيت»..!

وابتسم (بوارو) بينما أردف المفتش «جاب» قائلاً:

ـ والواضح أن «شارلوت» ظلت جالسة بعد أن دفعت الحساب فترة أخرى.. وأخيراً نظرت إلى ساعتها في حالة من اليأس، ونهضت لتنصرف..

ـ لا شك أنها كانت على موعد مع شخص معين لم يحضر.. فهل قابلت «شارلوت» ذلك الشخص بعد ذلك، أو أنها لم تستطع مقابلته فمضت إلى مسكنها وحاولت أن تتصل به تليفونياً؟ آه.. لشد ما أتمنى أن أعرف..!

ـ هذه هي نظريتك يا سيد (بوارو).. أنك تعتقد بوجود شخص ما، فإن ذلك محتمل.. ولعلها كانت قد اتفقت على أن تقابل شخصاً ما بعد أن تفرغ من مهمتها مع اللورد «أدجوير» بطريقة مرضية.. ولكن عندما فقدت زمام أعصابها

وطعنته بمبراة مكتب، أسرعت إلى المحطة لتعود إلى حالتها الطبيعية، ثم مضت إلى المطعم لمقابلة ذلك الشخص الآخر وكأنما لم تفعل شيئاً.. ولكنها لا تلبث أن تدرك هول ما فعلت بعد عودتها إلى المسكن، فتقرر الانتحار..

ولما بدت أمارات الشك في عيني (بوارو) قال المفتش «جاب»:

ـ ليس هناك أي دليل على وجود شخص آخر وراء هذه الجريمة.. حقاً إنني لم أعثر أيضاً على دليل يثبت وجود أية علاقة بين «شارلوت» واللورد «أدجوير» إلا أنني سوف أجد هذا الدليل.. والمسألة مسألة وقت فقط..

ثم نهض وقال وهو يهم بالانصراف:

ـ أليست لديك أوامر أخرى يا سيد (بوارو)؟

ـ أوامر؟.. لا.. ولكن لدي اقتراحاً..

ـ ما هو؟!..

ـ حاول أن تعثر على سائق سيارة مأجورة نقل راكبين من مكان ما بالقرب من مسرح كوفنت جاردن على ريجنت جيت في ليلة وقوع الجريمة.. أما عن الوقت، فمن المحتمل أن ذلك حدث في نحو العاشرة والنصف..

فقال المفتش بلهجة جادة:

ـ أعتقد أن لديك ما يبرر تنفذ هذا الاقتراح.. حسناً.. لسوف أرسل نشرة بهذا المعنى لتوزع بين سائقي السيارات المأجورة..

وابتسم فجأة، وقال وهو يسير بسرعة نحو الباب:

ـ ومع ذلك فما زلت عند رأيي..!

ـ رأيك؟!..

ـ نعم.. وهو أن «شارلوت آدامز» هي القاتلة.. وهي المنتحرة!



الفصل الثامن عشر

السيدة العظيمة

كنت بغرفتي في صباح اليوم التالي عندما أقبل (بوارو) وقال في صوت هامس منفعل :

ـ لقد جاءنا زائر يا عزيزي . .

ـ من يكون . . ؟

ـ صاحبة الفخامة الدوقة «ميرتون» والدة الدوق . .

ـ عجباً ! . . وماذا تريد؟

ـ لو أنك صحبتني لمقابلتها في غرفة الاستقبال، لعرفت . . وأسرعت معه، ودخلنا في وقت واحد إلى الغرفة . .

وكانت الدوقة سيدة قصيرة القامة، مرتفعة الأنف، ديكتاتورية النظرات، وقورة السمات، مهيبة المظهر، كل شيء فيها ينم عن حب السيطرة . .

ورفعت النظارة ذات اليد المذهبة وراحت تتأملنا، الواحد بعد الآخر . . كما يتأمل العالم نوعاً جديداً من الحشرات، وأخيراً تحدثت بصوت قوي رنان أعتاد أن يأمر فيطاع :

ـ هل أنت السيد (بوارو)؟

ـ نعم . . إني في خدمتك يا سيدتي . .

ولما نظرت إلي، قال :

ـ وهذا صديقي الكابتن «هاستنج» الذي يساعدني في أعمالي . .

وبعد برهة من التردد والشك، أومأت برأسها وقالت :

ـ جئت لأستشيرك في موضوع دقيق يا سيد (بوارو) . .

وأحب أن أخبرك بأن ما سيدور بيننا ينبغي أن يبقى سراً . .

ـ إن طبيعة عملي تحتم هذا يا سيدتي. .

ـ إن الليدي «ياردلي» هي التي حدثتني عنك. . ومن حديثها أدركت أنك الإنسان الذي يمكن الاعتماد عليه في مثل هذه الأمور. .

ـ إن هذا شرف كبير يا سيدتي. .

وبعد برهة من التردد، قالت :

ـ إنني جئت لأطلب منك العمل على منع زواج ابني من الممثلة «جين ويلكنسون».

وتمالك (بوارو) نفسه حتى يخفي دهشته وقال :

ـ هل أفهم من هذا أنك تعارضين هذا الزواج بكل قوة؟

ـ طبعاً. . لأنه سيكون كارثة بالنسبة لمستقبل ابني. . إن ابني من ذوي المبادىء المثالية، وهو لا يطيق أن يرى أمامه فتاة جاهلة حتى ولو كانت من طبقته. . و «جين ويلكنسون» من الفتيات الجاهلات اللاتي لا مبادىء لهن. . ولكنها عرفت كيف تسحره بجمالها وأنوثتها وصوتها المثير. . هذا كل ما لديها من أسلحة!. .

ولما رأت (بوارو) لا يجيب بشيء، عادت تقول :

ـ وكنت مطمئنة إلى أن هذا الزواج لن يتم طالما كانت زوجة للورد «أدجوير». . أما وقد مات زوجها، فإني فهمت من ابني أن زواجه بها سيتم بعد أشهر قليلة. . ولهذا أرى أن هذا الزواج يجب ألا يتم بأي ثمن. .

فهز (بوارو) كتفيه وقال :

ـ وماذا في وسعي أن أفعل ياسيدتي؟!. .

ـ هذه هي مهمتك. . يجب أن تساعدني على إحباط مشروع هذا الزواج. .

ـ ولكن، ماذا يمكن لأي إنسان أن يفعله في هذه الحالة؟. . إن ابنك يركب رأسه ولا يستمع لأية نصيحة، كما أنه ليس في ماضي هذه الممثلة ما يمكن أن يثير فضية مدوية. . إنها حريصة من هذه الناحية. .

ـ أعرف هذا. . !

ـ كأنك تحريت عن ماضيها؟!. .

ـ طبعاً يا سيد (بوارو). . إنني لا أتردد عن القيام بأي شيء لأمنع ابني عن ارتكاب

هذه الحماقة. . أي شيء. . أتفهم؟. .

وبعد برهة من الصمت، استطردت تقول :

ـ إنني مستعدة لدفع أي مبلغ من المال ـ مهما بلغ مقداره ـ أتعاباً لأي إنسان يمنع هذا الزواج. . وأعتقد أنك أنت الإنسان الذي يستطيع أن يفعل هذا.

ـ ليس للمال شأن في هذا الموضوع يا سيدتي، لأن هذه مسألة خاصة بين اثنين يتبادلان الحب. . ولكن يمكنني أن أقدم إليك نصيحة إذا شئت. .

ـ ما هي؟. .

ـ رأيي أن تكفي عن معارضة ابنك في هذا الزواج، لأن هذه المعارضة تحفزه على الوقوف ضدك. . والواجب أن تساعديه عندما يحتاج إلى مساعدتك. .

فنهضت قائلة، وشفتاها تختلجان من فرط الانفعال :

ـ إنك لا تفهم الموقف على حقيقته يا سيد (بوارو).

ـ إنني آسف يا سيدتي لعجزي عن القيام بأية خدمة لك. .

والواقع أنني في موقف حرج، لأن الليدي «أدجوير» كانت قد استشارتني في هذا الموضوع.

وهنا قالت الدوقة بصوت قاطع كالسكين :

ـ آه. . إذن فأنت في جانب المعسكر الآخر، هذا يفسر موقفك مني بوضوح. . بل لعل هذا هو السبب في أن الليدي «أدجوير» لم يقبض عليها حتى الآن بتهمة قتل زوجها!

ـ ماذا تعنين يا سيدتي؟

ـ أعتقد أنك تفهم ما أعني تماماً!. . لماذا لم تقبض عليها رغم أنها كانت في قصر زوجها تلك الليلة؟. . إن أحداً لم يدخل عليه في تلك الليلة غيرها؟ فمن يكون قاتله إذا لم تكن هي؟!

وقبل أن ينطق أحدنا بكلمة، اندفعت كالإعصار خارجة من الغرفة . . وقلت لـ (بوارو) بعد انصرافها :

ـ يا لها من امرأة رهيبة!. . إنني معجب بها رغم كل شيء. .

ـ أتعجب بها لأنها تريد أن تنظم الكون حسب رغبتها؟!.

ـ إن من حقها أن تدافع عن سعادة ابنها ومستقبله بالمخلب والناب. .

ـ نعم. . نعم. . ولكن. . هل تعتقد أن زواج ابنها من «جين ويلكنسون» ينطوي على كارثة؟

ـ لا. . طبعاً. . إلا إذا لم تكن صادقة في حبه.

ـ ومن يدرينا أنها لا تحب فيه إلا مركزه الرفيع في المجتمع. . إنها امرأة جميلة جداً، وطموحة جداً. . لقد استطاعت أن توقع في حبائلها زوجاً بلقب لورد. . فلماذا لا تحاول الارتقاء لتتزوج من دوق. . ثم من أمير؟

وقبل أن أرد عليه، صلصل جرس التليفون، فرفعت المسماع. . وبعد أن أعدته إلى مكانه، قلت منفعلاً لـ (بوارو) :

ـ كان المتحدث هو المفتش «جاب» «يا بوارو». . لقد اعترف أنك على صواب في نظرية وجود «رجل آخر وراء الجريمة». . لقد استلم برقية مطولة من نيويورك أولاً، ثم استطاع أن يظفر بسائق السيارة المأجورة، وثالثاً يريد منك أن تذهب لمقابلته في مكتبه فوراً. .

فقال (بوارو) مفكراً :

ـ إذن فقد آمن بنظرية وجود «رجل آخر وراء الجريمة». .

ولكن، يا للأسف، لقد آمن بها بعد أن بدأت أغير رأيي وأعتقد في نظرية أخرى جديدة. .

ـ أية نظرية تعني؟!

ـ نظرية تتلخص في أن من المحتمل ألا يكون للجريمة علاقة باللورد «أدجوير» نفسه، وأن من الممكن أن يكون هناك شخص يريد أن يضع عنق «جين» في حبل المشنقة ولو على حساب مصرع زوجها!



الفصل التاسع عشر

سائق التاكسي

وحينما ذهبنا إلى مكتب المفتش «جاب» وجدناه يستجوب رجلاً في منتصف العمر، يرتدي ملابس سائقي السيارات المأجورة.. ولما رآنا، قال:

ـ آه.. لقد جئتما.. إن كل شيء على ما يرام.. هذا السائق، السيد «جبسون» يقول إنه نقل شخصين من محطة لونج آكر في كوفنت جاردن إلى ريجنت جيت في ليلة التاسع والعشرين..

وأومأ «جبسون» برأسه وقال:

ـ نعم.. كانت ليلة جميلة، وكان القمر ساطعاً، وقد استدعاني الشاب والآنسة من مكان بالقرب من خط المترو..

ـ هل كانا يرتديان ملابس السهرة؟

ـ نعم.. ويبدو أنهما كانا خارجين من مسرح الموسيقى في كوفنت جاردن..

ـ وكم كانت الساعة؟

ـ قبل الحادية عشرة بقليل..

ـ حسناً!.. وبعد؟..

ـ طلباً إلي أن أمضي بهما إلى ريجنت جيت بسرعة بالغة.. وقد وصلت إلى مكان قريب من قصر اللورد «أدجوير» حيث استوقفاني.. وذهبت الآنسة إلى قصر اللورد، وبقي الشاب ينتظر.. وبعد قليل غمغم بكلمات تنم عن الضيق من الانتظار، ولم يلبث أن تبعها ودخل القصر..

ـ هل طرق على الباب؟!..

ـ لا.. دخل بمفتاح كان معه.

ـ وكيف عرفت أنه قصر اللورد «أدجوير»؟

ـ إنني لم أكن أعرف يومذاك. . وإنما عرفت الآن من سيدي المفتش. .

ـ ومتى خرج الاثنان. . ؟

ـ بعد نحو خمس دقائق من دخول الشاب. . وقد طلبا مني أن أعود بهما إلى كوفنت جاردن. . وهناك دفعا لي الأجر بسخاء!

وقال له «جاب» :

ـ حسناً يا «جبسون». . والآن عليك أن تنظر إلى هذه الصور، وأخبرنا هل ترى بينها صورة الشاب والآنسة؟!

وبعد أن فحص السائق مجموعة الصور، أشار أولاً إلى صورة «جيرالدين مارش» ابنة اللورد القتيل وقال :

ـ أنا واثق من أن هذه هي صورة الآنسة :

ـ والشاب؟!

وأشار إلى صورتين أحداهما صورة قديمة للورد «أدجوير» الجديد، وقال :

ـ إن أحدهما هو صاحب هذه الصورة. . وأكبر الظن أن هذا هو. .

وأشار إلى صورة اللورد «أدجوير» الجديد.

وبعد انصراف السائق، قال «جاب» لـ (بوارو).

ـ كيف عرفت هذا كله يا (بوارو)؟

فقال (بوارو) بتواضع :

ـ عندما علمت أن «رونالد مارش» كان في نفس المسرح الموسيقي في تلك الليلة مع ابنة عمه «جيرالدين» رغم أن كلاً منهما كان في صحبة أسرة مختلفة، خطر لي أنهما غادرا معاً دار المسرح أثناء إحدى فترات الاستراحة التي قد تبلغ أحياناً نصف ساعة. . وقد دفعني إلى هذا الاستنتاج حرص «رونالد مارش» على إثبات وجوده في المسرح في تلك الليلة دون أن يسأله أحد.

فقال «جاب» متعجباً :

ـ الواقع أن لك طريقة غريبة في الاستنتاج يا (بوارو). . ويبدو أن «رونالد مارش» هو بغيتنا على وجه اليقين. . انظر إلى هذه الأوراق!

ثم قدم مجموعة من صفحات البرقيات قائلاً:

ـ إنها برقية مطولة من نيويورك.. لقد اتصل رجال الشرطة بـ «أوس آدامز» وحصلوا منها على نص الخطاب المرسل إليها من أختها «شارلوت».. يمكنك أن تقرأه وتدرك منه الحقيقة كاملة:

وراح (بوارو) يقرأ في اهتمام شديد:

«أختي الحبيبة الصغيرة»:

«إنني آسفة لخطابي الذي أرسلته إليك في الأسبوع السابق، والواقع أني كنت مشغولة جداً طيلة ذلك الأسبوع.. وقد تعرفت أخيراً برجل ممتاز هو السيد «هوشماير» الذي سيعرفني بدوره بالسير «مونتاج كورنر» في الأسبوع القادم.. والسير «مونتاج» رجل شديد الاهتمام بالفن والفنانين. ولا شك أنه سيساعدني كثيراً حتى أحقق آمالي كلها.. وفي الليلة الماضية قابلت الممثلة المشهورة «جين ويلكنسون» والعجيب أنها كانت لطيفة معي جداً، وشديدة الإعجاب بتقليدي لها على خشبة المسرح. وهذا ما يجعلني أقرب من الموضوع المثير الذي أريد أن أحدثك عنه في هذا الخطاب!.. إنني في الحقيقة لا أحب «جين ويلكنسون» كثيراً لأنني سمعت أخيراً. ومن شخص عزيز علي أنها قاسية القلب، متحجرة العواطف، وإنها أساءت إلى هذا الشخص العزيز إساءة بالغة.. ولكن ليس هذا موضوع حديثي الآن.

«إنك تعرفين أنها هي نفسها الليدي «أدجوير»!.. لقد سمعت الكثير عن زوجها اللورد، وعن غرابة طباعه وقسوته، ولا سيما قسوته على ابن أخيه «رونالد مارش» الذي سبق أن حدثتك عنه هل تصدقين أنه ـ أي اللورد ـ طرد ابن أخيه هذا من قصره، وتركه يعاني الفاقة وسوء الحال؟ لقد أخبرني هو بذلك، وأحسست بالحزن من أجله.. وهو من فرط الإعجاب بدوري في تقليد الممثلات جعلني أراهنه إذا أنا نجحت في خداع اللورد «أدجوير» نفسه!.. أتعرفين كم قيمة الرهان؟. عشرة آلاف دولار يا حبيبتي!.. تصوري عشرة آلاف دولار.. لقد قبلت الرهان قائلة إنني على استعداد لأن أخدع الملك نفسه بانتحال شخصية زوجته!..

حسناً. . لقد اتفقنا على جميع التفاصيل في هذا الشأن، وسوف أخبرك بالنتيجة في الخطاب التالي. . وعلى كل حال، فإن الاتفاق ينص على أن أستلم عشرة الآلاف دولار سواء نجحت في خداع اللورد «أدجوير» أو لم أنجح. تصوري يا عزيزتي؟. . لقد ابتسمت لنا الحياة أخيراً. والآن لم يعد لدي وقت، لأني سأقوم بعد قليل بهذه الدعابة الرائعة. . وإليك حبي وأشواقي. . أختك شارلوت».

❀ ❀ ❀

ووضع (بوارو) الخطاب متأثراً، بينما قال «جاب» مبتهجاً :

ـ لقد وقع في أيدينا؟

فقال (بوارو) ببرود :

ـ يبدو هذا. .

ـ عجباً ! . . ألا تزال تشك في الأمر يا سيد (بوارو).

ـ لا. . لا. . لا بد أن هذا ما حدث.

فنظر المفتش إليه في دهشة وقال :

ـ إنك تتحدث بلهجة الإنسان الذي يسلم بأمر لا يؤمن به. . فقال (بوارو) في حزن شديد :

ـ إنني في الواقع شديد الحيرة والارتباك.

فهز المفتش كتفيه، وقال :

ـ حسناً يا سيد (بوارو). . مهما يكن رأيك، فإن غموض الجريمة قد زال تماماً، ولم يبق أمامي إلا استصدار الأمر بالقبض على «رونالد مارش» أو اللورد «أدجوير» الجديد.

ولما غادرنا اسكتلنديارد، قلت لـ (بوارو) دهشاً :

ـ ماذا بك؟. .

ـ لست أدري. . إنني أشعر أن هناك خطأ ما في أمر ما. . هذا هو شعوري الخاص.



الفصل العشرون

أقوال رونالد

كان من العسير علي أن أبرز موقف (بوارو) الغامض من هذه الأحداث.. فرغم أن الأمور تطورت إلى ما كان يتنبأ به، فقد ظل مقطب الجبين، حائر السمات طيلة الطريق إلى ريجبنت جيت، بينما كان المفتش «جاب» مبتهج الأسارير:

وأفاق من تفكيره أخيراً، وقال مغمغماً:

ـ على كل حال يجب أن نعرف ما لديه من أقوال في هذا الشأن.. ولما وصلنا إلى ريجنت جيت، وجدنا الأسرة جالسة إلى مائدة الغداء، وكان اللورد الجديد على رأسها.. ولكنه سرعان ما نهض، وتقدمنا إلى غرفة المكتبة حين علم أن المفتش «جاب» يريد أن يتحدث معه برهة على انفراد.

وقال الشاب في مرح بعد أن اتخذنا مجالسنا:

ـ خيراً يا سيدي المفتش..

وأخبره المفتش بأمر السائق «جبسون» وأقواله الخطيرة التي أدلى بها.. ولما فرغ من حديثه، قال «رونالد».

ـ أهكذا الأمر.؟!

ثم تناول علبة سجائره، وأخرج واحدة منها وأردف قائلاً:

ـ أعتقد أن من واجبي يا سيد «جاب» أن أدلي بأقوالي في محضر رسمي..

ـ كما تشاء يا سيدي اللورد..

ـ حسناً.. ها هي ذي منضدة صالحة للكتابة، ويمكن لمساعدك أن يجلس إليها ويسجل أقوالي كلمة كلمة..

وبعد أن تمت الترتيبات في هذا الشأن، بدأ الشاب يقول:

ـ يبدو أن إدارة اسكتلنديارد قد عرفت كل تحركاتي في ليلة الجريمة، ومن ثم لا داعي للإنكار.. ولكنني أحب أن أقول إنني لو كنت أدبر ارتكاب جريمة قتل عمي، لما استأجرت سيارة تاكسي ومضيت بها مع ابنة عمي إلى هذا القصر مباشرة، ثم أبقيت

السائق في الانتظار لنعود معه.. كان يجب على الأقل أن أهبط في مكان بعيد بعض الشيء عن القصر، وأن أصرف السائق لكي أستقل سيارة أخرى أثناء العودة.. يبدو أن السيد (بوارو) يوافقني في هذا..

فقال (بوارو):

ـ نعم؟.. لقد فكرت في هذا الاحتمال..

ـ إن الذي يدبر ارتكاب جريمة لا يرتكب مثل هذا الخطأ الواضح.. وعلى هذا فمن واجبي الآن أن أذكر الحقيقة كاملة، لقد كنت في حالة يأس تام بسبب دين كان على أن أسدده في الصباح التالي ليلة وقوع الجريمة.. وإلا كان من المؤكد أن أتعرض للسجن بتهمة النصب والاحتيال.. وذهبت إلى عمي في الصباح أطلب منه مبلغاً من المال أسدد به الدين، ولكنه رفض وطردني. وخطر ببالي وأنا أتعشى مع آل «دور تيمر» أن ألتمس قرضاً من رب الأسرة، ولكنني تراجعت عن تنفيذ هذا الخاطر حين تذكرت أن السيد «دورتيمر» لا يقرض أمثالي.. كما خشيت أن أبدو صغير الشأن في عيني «راشيل» ابنة الأسرة الحسناء وفجأة التقيت مصادفة بابنة عمي «جيرالدين» في المسرح.. فذهبت لأحييها وأنا أتذكر معاملتها الرقيقة لي أثناء إقامتي معها في القصر، فقد كانت دائماً لطيفة عطوفاً.. ومن ثم وجدت نفسي أحدثها بأمر الدين الذي ينبغي أن أسدده في صباح اليوم التالي. وسرعان ما اقترحت أن تقدم لي عقدها اللؤلؤي الثمين لأرهنه وأسدد الدين بقيمة الرهن.. وكان هذا العقد الثمين موروثاً عن أمها..

وصمت «رونالد مارش» ـ اللورد الجديد ـ برهة حتى هدأت أنفاسه، وزال التهدج من صوته، ثم عاد يقول:

ـ وقبلت اقتراح ابنة العم العزيزة، وأقسمت لها أن أعيد إليها العقد اللؤلؤي في أقرب وقت، ولو اضطررت إلى أن أشتغل عاملاً بمناجم الفحم ليلاً ونهاراً.. وكان العقد عندئذ في قصر والدها، ومن ثم قررنا أن نذهب في الاستراحة لنأتي به، وهكذا وثبنا في أقرب سيارة مأجورة، ومضينا إلى القصر. وهناك دخلت دينا ـ أعني «جيرالدين» ـ لتأتي بالعقد، وبقيت في انتظارها.. وكنا نعرف أن الآنسة «كارول» سكرتيرة عمي، تأوي إلى فراشها عادة في التاسعة والنصف.. أما عمي، فكنا نعلم أنه

قد يكون في غرفة المكتبة إذا لم يكن في فراشه أيضاً. .

وغص «رونالد» بريقه قبل أن يستطرد قائلاً:

ـ وفيما أنا واقف أنتظر بجوار السيارة المأجورة، إذا بي أرى رجلاً يمرق بجواري ويمضي إلى باب القصر ـ أو هكذا خيل إلي ـ لأن المسافة بيني وبين الباب كانت لا تقل عن ثلاثين متراً. . ثم يفتح الباب بمفتاح خاص ويدخل. وكان هذا الرجل هو نفسه الممثل المعروف «بريان مارتن». .

وارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتي «رونالد» وهو يردف قائلاً:

ـ صدقوني أو لاتصدقوني، فهذا ما حدث. . وقد دهشت طبعاً، وحاولت أن اقنع نفسي بأن الرجل دخل باب القصر المجاور. . ولكي أطمئن، ذهبت إلى باب القصر، وكان مفتاحه في جيبي، وهو نفس المفتاح الذي حسبت أنه ضاع مني منذ ثلاث سنوات، ثم وجدته في جيب بذلة قديمة في الأسبوع الماضي. . وبهذا المفتاح فتحت الباب، ولكنني لم أجد أثراً للرجل في الصالة الخالية. وبعد أن تلفت حولي، تقدمت نحو باب المكتبة وأنا أظن أن الرجل قد دخل لمقابلة عمي. . ولكنني عندما وصلت إلى باب المكتبة، لم أسمع أصواتاً بداخلها، فعرفت أنه لايوجد بها أحد. ومن ثم خطر لي أنه ـ أي الرجل ـ قد دخل قصراً مجاوراً، وأنني بدخولي قصر عمي على هذا النحو ـ وفي مثل هذا الوقت ـ قد ارتكبت حماقة كبيرة، إذ كيف يكون موقفي لو فاجأني عمي وأنا في هذه الحالة؟. . ماذا يقول؟. . وماذا يظن؟. . ومن ثم أسرعت عائداً إلى الباب الخارجي في نفس اللحظة التي هبطت فيها دينا ـ «جيرالدين» ـ من جناحها في الطابق الأول فلما رأتني أعربت عن دهشتها، ولكنني شرحت لها الأمر، وخرجنا إلى السيارة التي كانت في انتظارنا وعدنا بها إلى المسرح قبل أن يبدأ الفصل الموسيقي الثاني.

وصمت «رونالد» مرة ثالثة قبل أن يقول:

ـ أنا أعرف ماذا ستقول لي يا سيدي. . ستقول لي: لماذا لم أخبرك بهذا كله من قبل؟. . والإجابة على هذا، إنني لم أرغب طبعاً في أن أضع نفسي موضع الاتهام بعد أن وقعت الجريمة. ولهذا قررت أن أخفي تماماً مسألة ذهابي إلى القصر أثناء الاستراحة بالمسرح.

ـ وهل وافقت ابنة عمك على هذا الإجراء؟

ـ نعم، لأنها كانت معي. . وقد بينت لها أن من المحتمل أن نتعرض معاً للاتهام، ولاسيما حين يعرف أنها لم تكن راضية عن حياتها مع أبيها. إنني أعترف أن تصرفنا هذا كان خطأ. . ولكنني مستعد لأن أذكر اسم وعنوان الجوهري الذي رهنت لديه عقد اللؤلؤ، واسم وعنوان الشخص الذي سددت دينه في الصباح التالي مباشرة. .

ونظر «جاب» إليه برهة في صمت، ثم فاجأه قائلاً:

ـ وماذا عن رهانك مع الآنسة «شارلوت آدامز»؟. .

فقال «رونالد» مندهشاً:

ـ رهاني مع «شارلوت آدامز»؟! ما شأن هذه الآنسة بنا؟!

ـ هل تنكر أنك عرضت عليها مبلغ عشرة آلاف دولار لكي تنتحل شخصية «جين ويلكنسون» وتدخل قصر اللورد في تلك الليلة؟. وحملق «رونالد» في وجه المفتش قائلاً:

ـ عرضت عليها مبلغ عشرة آلاف دولار؟. . إن هذا لغو فارغ. . من أشاع هذا الخبر الكاذب، وما معنى هذه الفرية السخيفة؟. . كيف أعرض عليها مبلغاً كهذا وأنا لا أكاد أملك دولاراً واحداً؟ هل قالت لكم هذا بنفسها . . إنني آسف. . لقد ماتت أيضاً. . أليس كذلك؟

فقال (بوارو) بهدوء:

ـ نعم. . ماتت أيضاً. .

وراح «رونالد» يتلفت حوله، ويتنقل بنظراته من وجه إلى آخر، ثم قال:

ـ إنني لا أكاد أفهم شيئاً. إن ما قلته لكم هو الصدق بعينه. . ولكنني أرى أنكم لا تصدقونني. . !

وعندئذ قال (بوارو) بنفس الهدوء:

ـ إنني أصدقك يا لورد «أدجوير». .



الفصل الحادي والعشرون

الرسالة

وعدنا إلى مسكننا، وظل (بوارو) في حالة شديدة من القلق.. وازداد قلقه عندما عاد المفتش «جاب» إلينا وقال إنه استصدر أمراً بالقبض على «رونالد مارش» ـ اللورد أدجوير الجديد ـ رغم أن ابنة عمه «جيرالدين» أكدت صحة أقواله، ورغم أن التحريات أثبت أن «رونالد» رهن العقد اللؤلؤي عند جوهري معروف، وسدد دينه ـ في الصباح التالي لليلة الجريمة ـ لشخص معروف أيضاً..

وقال (بوارو) للمفتش، وهو يهز رأسه:

ـ إنني لست مقتنعاً بإدانة «رونالد مارش» ولا أدري لماذا.. إن هناك ثغرات كثيرة في الأدلة القائمة ضده. وكل ما أرجوه الآن أن نعرف من هو ذلك الشخص الذي يبدأ اسمه بالحرف «د» والذي أهدى العلبة الذهبية للآنسة «شارلوت آدامز» قبيل وفاتها .. أرجو ياعزيزي «جاب» أن نبذل مزيداً من الجهد لمعرفة ذلك الشخص..

ووعده المفتش «جاب» بتحقيق هذه الرغبة.. وبعد انصرافه، ظل (بوارو) يذرع الغرفة جيئة وذهاباً، وأخيراً انفرجت أسارير وجهه، ووضع يده على كتفي وقال:

ـ هلم نمضي لتناول طعام الغداء..

وفي المطعم، رأينا «بريان مارتن» و «جيني درايفر» صاحبة محل القبعات يتناولان طعام الغداء على مائدة مجاورة وكانت «جيني» تبدو رائعة الجمال، مثيرة إلى حد مذهل.. ولما رأتنا نهضت وأقبلت علينا قائلة:

ـ هل تسمح لي بالجلوس معك لحظة يا سيد (بوارو)؟

ـ بكل تأكيد يا آنسة «درايفر». ألا يحب السيد «مارتن» أن ينضم إلينا؟

ـ لقد طلبت منه ألا يفعل. . لأني أريد أن أتحدث معك بشأن «شارلوت».

ـ حسناً يا آنسة «درايفر»

ـ لقد سألتني : هل كانت تحب شخصاً معيناً. . وقد فكرت أخيراً أو عصرت ذهني لأتذكر بعض العبارات أو التصرفات التي تدل على أنها تميل إلى شخص معين، وانتهيت أخيراً إلى أنها كانت تحب «رونالد مارش». . اللورد «أدجوير» الجديد. .

ـ كيف عرفت هذا؟

ـ كانت دائماً تتحدث عن شخص تعرض لموقف بالغ من القسوة على يدي شخص آخر. . ولما كنت أعرف أن «رونالد مارش» هو الشاب الذي تعرض دائماً لقسوة عمه اللورد «أدجوير» فقد أدركت أن حديثها الدائم عن هذا الشخص المتألم الذي تعطف عليه وتكره أو تحقد على من يقسو عليه، هو نفسه «رونالد مارش».

وقال (بوارو) وقد أشرق وجهه فجأة :

ـ الواقع أنك زودتني بمعلومات مهمة يا آنسة «درايفر». هل عرفت أن «رونالد مارش» اللورد الجديد، قد تم القبض عليه اليوم؟

فقالت «جيني درايفر» :

ـ إذن فقد جاءت معلوماتي هذه متأخرة عن حينها. .

ـ لا بل جاءت في حينها تماماً يا آنسة «درايفر». . شكراً جزيلاً ولما انصرفت إلى «بريان مارش» قلت لـ (بوارو) :

ـ لا شك أن هذه المعلومات الجديدة تؤيد ـ أو تزيد ـ من ثقل الاتهام الموجه إلى «رونالد مارش». .

ـ لا يا «هاستنج». . إن الأمر على النقيض. . إنها تزيد من براءته في نظري. .

ونظرت إليه في دهشة دون أن أجيب. .

ومرت أيام قليلة لم نتبادل خلالها أي حديث عن جريمة مصرع«اللورد

أدجوير» حتى إذا كنا جالسين ذات صباح، إذا (بوارو) يفتح خطاباً من بين مجموعة الرسائل التي وردت إليه في ذلك الصباح ثم قال لي بعد أن قرأه وقدمه إلي :

ـ هذا خطاب من «لوسي آدامز» أخت «شارلوت آدامز» ومرفق به الخطاب الأصلي الذي أرسلته «شارلوت» إلى أختها. . إنها تقول إنها ترسل إلي الخطاب الأصلي وهي واثقة أنني سأحافظ عليه وأعيده إليها بعد أن استفيد منه في كشف الغموض عن وفاة أختها.

وقلت في دهشة، وأنا أقرأ الخطاب :

ـ إذن فقد أرسلت إلى «لوسي» تطلب منها أن ترسل إليك الخطاب الأصلي. .

ـ طبعاً! . .

ـ لماذا؟ . . ما قيمته بعد أن قرأنا صورة كاملة منه؟ . . هل كنت تتوقع أن ترى بعض التحريف في الخطاب الأصلي؟

فهز (بوارو) كتفيه وقال :

ـ إنني لست مقتنعاً بأن «رونالد مارش» كان نفس الشخص الذي أغرى «شارلوت» بانتحال شخصية «جين ويلكنسون» . . وبما أن «شارلوت» ذكرت في خطابها إنه هو، فلا بد أنني مخطىء أو أن شيئاً ما في الخطاب ينطوي على خطأ ما. . ولهذا أرسلت لإحضاره. .

وعاد يفحص الخطاب بعناية فائقة، وفجأة هتف قائلاً وهو يرتعد من فرط الانفعال :

ـ انظر يا «هاستنج» إلى هذه الورقة من الخطاب؟ . . انظر. . إن جميع أوراق الخطاب ذات حافات مستوية ما عدا هذا الورقة التي في الوسط. . إنها كانت في الأصل مزدوجة ثم فصلت وهذا يعني أن هناك ورقة مفقودة من الخطاب. .

فقلت دهشاً :

ـ ولكن. . لماذا ؟!

ـ لغرض معين. . اقرأ الخطاب مرة أخرى، ولسوف ترى أن الحديث عن

«رونالد مارش» بنهاية الورقة المفقودة التي كانت في الأصل مزدوجة.. إنه ينتهي في آخر سطر من الورقة بهذه العبارة «ولهذا أحسست بالحزن من أجله.. و» ثم تبدأ الصفحة التالية بكلمة «هو».. وليس من المحتم أن يكون هذا الضمير عائداً على «رونالد مارش» لأنه ليس من المعقول أن تستمر «شارلوت» في الحديث عنه طوال الصفحة أو الورقة المفقودة... إنها حين قالت «.. هو من فرط الإعجاب بتقليدي للممثلين..» إلى آخر الحديث عن الرهان، لم تذكر اسم «رونالد مارش» مرة أخرى. وهذا يعني أن هناك احتمالاً ضخماً في أنها كانت تعني شخصاً آخر غير «رونالد مارش».. والواضح أن المجرم استطاع أن يظفر بالخطاب قبل إرساله على نحو ما، فلما قرأه أدرك أنه سيكشف أمره، ورأى أن يخفيه.. ولكنه عاد وفكر بسرعة، ورأى أنه لو انتزع هذه الورقة المعينة من الخطاب، لبدا لأي قارىء أن «رونالد مارش» هو الذي راهن «شارلوت» على انتحال شخصية «جين».. وبذلك ضرب عصفورين بحجر واحد كما يقال..!

ونظرت إلى (بوارو) في دهشة، ثم قلت:

ـ ولكن.. من يدرك أن «شارلوت» هي التي استعملت هذه الورقة المفردة؟

ـ لا.. إن الخطاب مكون من أربع ورقات.. أي من زوجين من الأوراق، كل زوج على انفراد، فلماذا تكتب الجزء الأول على ورقة مفردة، ثم تكتب الجزء الأخير على ورقة مزدوجة؟.. إن العكس كان الأصح..

وهززت رأسي قائلاً:

ـ إذا افترضنا صحة استنتاجك؟.. كيف استطاع المجرم أن يظفر بالخطاب قبل أن تضعه الخادم في صندوق البريد..

ـ إن علينا أن نفترض أحد أمرين: إما أن تكون الخادمة كاذبة في قولها إنها أخذت الخطاب من سيدتها وذهبت فوراً لتضعه في صندوق البريد، وإما أن «شارلوت» التقت في تلك الليلة بالمجرم، والخطاب لا يزال في حقيبة يدها..

وأومأت برأسي، بينما استطرد (بوارو) قائلاً:

ـ وأنا أميل إلى الافتراض الثاني، فنحن لا نعرف أين أمضت «شارلوت» وقتها

في الفترة الواقعة بين خروجها من منزلها حتى إيداعها حافظة أدوات التنكر في قاعة الأمانات بمحطة يوستون. . إنني أعتقد أنها قابلت المجرم في مكان ما خلال هذه الفترة. ولعلهما تناولا بعض الطعام معاً، ثم وجه إليها آخر تعليماته. . وأما فيما يختص بالخطاب، فليس أمامنا إلا أن نستنتج أنها ربما كانت تحمله معها لتضعه في صندوق البريد، ثم نسيت، فوضعته على المائدة أمامها عندما التقت بالشخص المجهول في المطعم أو المشرب. ولعل الشخص المجهول رأى الاسم المكتوب على مظروف الخطاب فداخله الشك مما قد يكون مكتوباً به. . ولعله التقطه بحذر وخفة، ثم ذهب إلى دورة المياه في المطعم أو المشرب واطلع على الخطاب، ثم انتزع الورقة التي تدينه، وأعاده إلى مكانه على المائدة دون أن تفطن «شارلوت» إلى شيء. . بل ربما قدمه إليها عندما هما بالانصراف من المطعم أو المشرب قائلاً إنه وقع منها. المهم أن «شارلوت آدامز» قابلت ذلك الشخص المجهول ـ المجرم ـ إما قبل أن تقوم بدورها في انتحال شخصية «جين ويلكنسون»، وإما بعد القيام بهذا الدور . . ويبدو لي أن ذلك المجرم هو الذي أهداها العلبة الذهبية تذكاراً لأول لقاء بينهما، أو لشيء من هذا القبيل. . وعلى هذا فإن المجرم يكون اسمه بادئاً بالحرف «د».

فقلت غير مقتنع :

ـ إنني لا أعرف معنى لوجود العلبة الذهبية مع «شارلوت»

ـ أسمع يا «هاستنج». . لقد ثبت من التحريات أن «شارلوت» لم تكن تدمن استعمال مسحوق الفيرونال. . كما أن أحداً لم ير معها هذه العلبة منذ مدة طويلة. . ولهذا فإنني أعتقد أن الشخص المجهول أعطاها هذه العلبة، كهدية لنجاحها في القيام بدورها. . وحرص على أن يضع في شرابها كمية كبيرة منه ليتأكد من أنها لن تصحو من نومها في صباح اليوم التالي. .

ـ يا للفظاعة

ـ ولكن هذا هو الشيء المعقول. .

ـ وهل تنوي أن تخبر المفتش «جاب» بهذا كله؟

ـ لا . . ليس في الوقت الحاضر. . إنه لن يقتنع بهذه الاستنتاجات التي تنقصها الأدلة المادية

وبعد لحظات من الصمت، قضاها (بوارو) مفكراً حالماً، قال:

ـ إن انتزاع الورقة المفقودة يدل على أن ذلك الشخص المجهول إما رجل مهمل وإما كان في عجلة من أمره. . وهناك نقطة أخرى، هل اسم ذلك الشخص يبدأ بالحرف «د» أو أن هذا الحرف لا يدل على شخص معين!!



الفصل الثاني والعشرون

حفلة الغداء

نجح المفتش «جاب» في تحرياته عن العلبة الذهبية إلى حد ما . . قال إن هذه التحريات أثبتت أن سيدة تدعى «كونستانس أكرلى» أرسلت خطاباً إلى جوهري معروف بباريس تطلب فيه أن يصنع لها علبة ذهبية لها نفس المواصفات في خلال يومين، وقد تم تسليم العلبة قبل وقوع الجريمة بيوم واحد . .

وقال (بوارو) لـ «جاب» :

ـ ومن الذي ذهب لاستلامها؟!

ـ سيدة! . .

ـ سيدة؟! . .

ـ نعم سيدة قصيرة في منتصف العمر تستعمل نظارة طبية . . ونظر كل منا إلى الآخر في حيرة وارتباك . .

وبعد يومين، وصلتنا دعوة من آل «ويدبيرن» لتناول الغداء في فندق الكلاريدج . ولم أكن أنا أو (بوارو) شديدي الرغبة في قبول هذه الدعوة، ولكن لم يسعنا إلا أن نقبلها . .

وهناك وجدنا «دونالدروس» ـ الممثل الشاب المغمور ـ بين المدعوين . . وقد أسرع إلينا يحيينا . . وكانت هناك أيضاً «جين ويلكنسون» جالسة بجوار الدوق «ميرتون» الشاب، وكانا جالسين في مواجهتي مباشرة . . وبجانب الدوق ـ من الناحية الأخرى ـ جلست السيدة «ويدبيرن» . . وقد لاحظت للوهلة الأولى أن الدوق الشاب ليس في حالة من الرضا والابتهاج . . كأنما يشعر أنه قبل الدعوة رغماً عنه، أو كأنما هو نادم على شيء ما . . وكان في جملته يبدو كأنه فارس من فرسان العصور الوسطى في تصرفاته المتكلفة، و في حرصه الشديد على قواعد آداب السلوك . . بينما كانت «جين» بجانبه تبدو كآخر لمسة في الجمال العصري الباهر . .

وأهم ما لاحظته على الدوق أنه بدا ـ في تصرفاته المهذبة مع «جين ويلكنسون» ـ كرجل أسكره خمر جمالها وأنوثتها . . ثم بدأ يفيق على الواقع الذي

يشير إلى الفوارق الضخمة بينه وبينها. . !

ومما زاد إحساسي بهذه الحقيقة، ذلك الخطأ الرهيب الذي وقعت فيه «جين» أثناء الحديث عن بعض أبطال الإغريق. .

كان أحدهم يتحدث عن البطل «باريس» الإغريقي، ثم ذكر في حديثه قولاً مأثوراً، قال عنه:

ـ ولكن بعض المؤرخين يقولون أن هذا القول لم يصدر عن «باريس». .

وهنا قالت «جين» ببساطة الجاهل:

ـ «باريس»! . . إن «باريس» لا تكاد تساوي شيئاً بجانب نيويورك!

وخيم الصمت الرهيب على الجميع في تلك اللحظة، وسمعت الشاب «دونالدروس» الجالس بجانبي يشهق بصوت خافت كأنما اكتشف شيئاً رهيباً، ورأيت الدوق يبتعد قليلاً عن «جين» كأنما يتمنى لو استطاع أن يفر من جانبها، وبدت على وجهه أمارات الرجل الذي أدرك أخيراً أنه ارتكب أكبر حماقة في حياته. . أما «جين» لقد أخذت تنظر إلينا دهشة من تصرفاتنا، ولكن السيدة «ويدبيرن» سارعت إلى إنقاذ الموقف، وراحت تتحدث عن موضوع آخر، ولم يلبث الجميع أن شغلوا بالأحاديث المختلفة عن سقطة «جين». .

وكان (بوارو) مضطراً لأن يغادر الحفلة ليذهب إلى موعد محدد في الثانية والنصف بعد الظهر مع أحد العملاء. وقد انصرف مسرعاً وطلب مني أن أشكر ـ بالنيابة عنه ـ السيدة «ويدبيرن» وكانت محاطة بعدد كبير من المدعوين، من بينهم الممثل المعروف «بريان مارتن» و «دونالد روس» و «جين ويلكنسون» والدوق، وعدد آخر ممن لا أعرفهم. وفيما أنا انتظر دوري لأحييها وأشكرها وأنصرف، إذا بالشاب «دونالد روس» يضع يده على كتفي ويقول لي بلهفة:

ـ أين السيد (بوارو)؟ . . أريد أن أتحدث معه في أمر هام. .

ـ لقد اضطر إلى الانصراف لأنه على موعد الآن. .

ولما رأيت خيبة الأمل ترتسم على وجه الشاب، قلت له:

ـ هل تريده الآن حتماً؟! . .

ـ لا. ليس الآن حتماً. . بل إنني في الواقع لا أدري ماذا أقول له على وجه التحديد عندما أراه. . فإنني لا أكاد أصدق نفسي. .

ـ حسناً . . يمكنك أن تتصل بمسكنه تليفونياً في الساعة الخامسة . .

ـ شكراً جزيلاً يا كابتن «هاستنج» . . لسوف أفعل . . ومن يدري . . فربما أدرك هو خطر ما لدي من معلومات . .

وفيما أنا أهم بالانصراف إذا بصوت نسائي جميل يقول لي :

ـ لا تتظاهر بأنك لا تعرفني . .

ـ أوه . . «جيني درايفر»؟ . . من أين جئت؟

ـ كنت أتناول الغداء على المائدة المجاورة لكم . .

ـ ولكنني لم أرك . . كيف حال تجارة القبعات؟

ـ على ما يرام . . وكيف حال السيد (بوارو) . .

ـ إنه في حيرة من أمره . . وهذه أول مرة أرى فيها (بوارو) على هذه الحال من الحيرة والارتباك . . !

وعاد (بوارو) من مهمته الخاصة مبتهجاً . . وفيما هو يحدثني عنها ـ وكانت تدور حول عصابة لتهريب المخدرات ـ إذا بجرس التليفون يدق . . وكانت الساعة قد بلغت الخامسة وبضع دقائق، وعندئذ قلت وأنا أتجه نحو آلة التليفون :

ـ أعتقد أن المتحدث هو الشاب «دونالد روس» . .

ـ «دونالد روس»؟! . .

ـ نعم . . الممثل المغمور الذي قابلناه أول مرة في منزل السير «مونتاج كورنر» بضاحية تشيزويك . . لقد كان في حفلة اليوم أيضاً . .

ـ آه . . لقد رأيته . . وماذا يريد؟

ـ يريد أن يتحدث معك في أمر ما؟

وتناولت المسماع . . وإذا بالمتحدث هو «دونالد روس» نفسه . .

ـ مرحباً كابتن «هاستنج» . . هل السيد (بوارو) موجود؟

ـ نعم يا سيد «روس» . . هل تريد أن تحدثه تليفونياً أو أنك ستأتي بنفسك؟

ـ لا . . لا داعي لحضوري . . يمكنني أن أذكر له ما أريد تليفونياً . .

ـ حسناً . . إنه سيحدثك فوراً . .

وسلمت المسماع لـ (بوارو) الذي وضعه على أذنه، ولكني كنت أسمع صوت «دونالد روس» وهو يقول بلهفة:

ـ السيد (بوارو)؟!

ـ نعم يا سيد روس..

ـ اسمع يا سيد (بوارو).. إنني لا أريد أن أزعجك.. ولكنني لاحظت شيئاً عجيباً جداً في حفلة اليوم.. وإن ما لاحظته له علاقة بمقتل اللورد «أدجوير»..

ورأيت وجه (بوارو) يتوتر بالانفعال، وهو يردد قائلاً:

ـ إنني مصغ إليك..

ـ إن الأمر يتعلق بباريس..

وعندئذ سمعت جرس باب يرن من بعيد.. في التليفون.. ثم إذا بـ «روس» يقطع حديثه قائلاً:

ـ لحظة واحدة يا سيد (بوارو).. إن جرس الباب الخارجي يرن..

وانتظرنا..

ومرت دقيقة.. ثم دقيقتان.. ثم ثلاث دقائق.. ثم خمسة..

ونظر (بوارو) في ساعته، ثم أدار القرص وطلب إدارة الدليل بالتليفون ملتمساً الاتصال بتليفون «دونالد روس»..

وردت إدارة الدليل قائلة أن مسماع تليفون «دونالد روس» مرفوع عن الحامل..

وصاح (بوارو) في اهتياج قائلاً:

ـ أسرع يا «هاستنج».. ابحث عن عنوان «دونالد روس» في دفتر التليفونات وهيا بنا إليه فوراً..



الفصل الثالث والعشرون

باريس

وقال (بوارو) ونحن ننطلق في سيارة مأجورة إلى مسكن «دونالد روس» :

ـ لشد ما أنا خائف يا «هاستنج» . .

ـ هل تعني أنه . . ؟

ـ إننا نواجه مجرماً ارتكب جريمة القتل مرتين . . ولن يتردد في ارتكابها بعد ذلك أي عدد من المرات . . إنه الآن يحارب للنجاة من حبل المشنقة، وهو في هذا السبيل لن يقف عند حد. وإذا شعر أن «روس» خطر عليه، فلا بد أن يزيله من الطريق . .

ـ ولكن . . هل كان «روس» سيخبرنا بشيء خطير؟

ـ لابد أن الأمر كذلك . .

ـ ولكن . . كيف عرف المجرم؟ . .

ـ لقد تحدث «روس» معك . . هناك بعد حفلة الغداء، وبين عدد كبير من المدعوين . . وهذه حماقة ارتكبها، ولكن لماذا لم تأت به وتحميه وتبقيه حتى أعود؟

ـ ومن أين لي أن أعرف أنه معرض للخطر؟

ـ ووصلنا أخيراً إلى الشقة الصغيرة المفروشة التي يسكنها «دونالد روس» في الطابق الأول ببيت كبير بميدان فسيح في حي كنسنتون . . وقد تبين لنا ـ لأول وهلة ـ أن للشقة باباً خاصاً يفضي إلى الطريق مباشرة، وكان الباب لا يزال مفتوحاً؟

ومن ثم قال (بوارو) وهو يدفعه ويدخل مسرعاً :

ـ إن من السهل على أي إنسان أن يدخل أو يخرج دون أن ينتبه إليه أحد . .

وحدث ما كان (بوارو) يخشاه . .

لقد وجدنا «دونالد روس» في نهاية الممر المؤدي إلى غرفة الجلوس، جثة هامدة . . وكان المسماع مرفوعاً عن التليفون في غرفة الجلوس . .

وقال (بوارو) وهو ينظر إلى الجثة بعين فاحصة :

ـ طعن في أسفل العنق بسلاح حاد نفذ إلى مجمع الأعصاب في العمود الفقري . .

إن ما حدث في أصيل ذلك اليوم ظل جاثماً على ذهني كالكابوس أياماً طوالاً . . ولم أستطع أن أتحرر ـ لمدة طويلة ـ من الشعور بأني كنت السبب، غير المباشر، فيما أصاب «روس» . . لأنه كان ينبغي أن أفطن إلى أنه عرض نفسه للموت، حين ذكر لي أن لديه معلومات خطيرة يريد الإدلاء بها لـ (بوارو) . .

واستطاع (بوارو) في النهاية أن يطمئنني قائلاً :

ـ تأكد يا «هاستنج» أن القاتل لن يفلت من يدي . .

وظل هادىء الأعصاب خلال الإجراءات البوليسية التي اتخذت بعد اكتشاف الجريمة الجديدة . . وفي ذات يوم قال لي (بوارو) :

ـ لم يبق لدينا وقت نضيعه، لأن المجرم لن يتردد في ارتكاب المزيد من الجرائم دفاعاً عن نفسه ـ أو عن عنقه ـ وعلينا الآن أن نسرع في الوصول إليه عن طريق طرف الخيط الوحيد بين أيدينا . .

ـ أتقصد كلمة «باريس»؟

ـ نعم . . لقد ذكرت هذه الكلمة مرات عديدة في هذه السلسلة من الجرائم . . فقد رأيناها محفورة في غطاء العلبة الذهبية، ولعل «شارلوت آدامز» كانت هناك . . وربما «روس»؟ . . فهل رآها هناك مع شخص معين في ظروف معينة؟

فقلت عندئذ :

ـ إننا لن نستطيع أن نعرف الآن شيئاً . .

ـ بل نستطيع يا «هاستنج» عن طريق العقل . . فهناك المرأة القصيرة ذات

النظارة الطبية التي استلمت العلبة الذهبية من الجوهري.. فهل كان «روس» يعرفها؟.. وهناك الدوق «ميرتون».. لقد كان في باريس عندما وقعت الجريمة الأولى. فهل كان هناك حقاً؟.. وكان اللورد «أدجوير» ينوي أن يسافر إلى باريس في الصباح التالي لمصرعه؟ فهل قتل ليمنع من السفر على باريس؟..

وظل جالساً برهة مستغرقاً في تفكير عميق، وأخيراً قال:

ـ ماذا حدث في حفلة الغداء التي أقامها السيد «ويدبيرن»؟.. لابد أن كلمة عابرة جعلت «روس» يتذكر شيئاً، أو يكتشف شيئاً.. فهل دار الحديث في الطرف الذي كنت تجلس إليه من المائدة يا «هاستنج» عن فرنسا أو «باريس»؟..

ـ نعم.. لقد ذكرت كلمة «باريس» ولكن في معنى آخر..

ثم حدثته عن «السقطة» التي وقعت فيها «جين» عندما خلطت بين باريس العاصمة و«باريس» البطل الإغريقي القديم. وبعد أن فكر (بوارو) ملياً قال:

ـ قد تكون لهذه السقطة علاقة بالموضوع.. وأين كانت نظرات «روس» مركزة؟

فقلت وأنا أحاول أن أستعيد في ذهني ذلك المنظر:

ـ كانت نظراته مركزة على الطرف الآخر من المائدة، حيث جلست السيدة «ويدبيرن» و«جين ويلكنسون» والدوق «ميرتون» عندما ذكرت كلمة «باريس».. لقد كان الدوق في باريس ـ أو هكذا يقال! ـ فهل ثمة علاقة بين هذه الكلمة وبين وجود الدوق في تلك المدينة؟.. حاول أن تتذكر ما حدث يا «هاستنج».. ألم يقل «روس» شيئاً؟.. أي شيء في تلك اللحظة؟

ـ أعتقد أن شهقة طويلة ندت عنه..

ـ وكيف كانت حالته عندما تحدث معك بعد ذلك؟.. هل كان مضطرباً؟.. مرتبكاً..؟

ـ تماماً..

ـ إذن فهذا يعني أنه اكتشف شيئاً عجيباً مربكاً محيراً.. ولهذا أراد أن يتحدث

إلي على أساس أن هذا الشيء المحير له خطورته..

ولكنه قتل قبل أن يقول شيئاً.. والمهم الآن أن أحداً لا يستطيع أن يزعم أن «دونالد مارش» له يد في ارتكاب هذه الجريمة الثالثة..

ـ أجل.. أجل.. إن هذه الجريمة من الأدلة النافعة له.. ولكن هذا لا يهمنا الآن..

وعاد (بوارو) إلى الاستغراق في التفكير.. وأخيراً رفع رأسه، وقال في انفعال:

ـ لا يمكن أن أكون مخطئاً.. أتذكر يا «هاستنج» الأسئلة الخمسة التي وضعتها بشأن هذه الجريمة؟..

ـ نعم.. إنني أذكر شيئاً من هذا القبيل..

ـ هذه الأسئلة هي: أولاً لماذا غير اللورد «أدجوير» رأيه بشأن طلاق زوجته «جين ويلكنسون»؟.. ثانياً: ما هو سر الخطاب الذي قال إنه أرسله إلى زوجته، بينما تقول زوجته إنها لم تستلمه؟.. ثالثاً: لماذا كان وجه اللورد ينم عن الغضب والانفعال عندما هممنا بالانصراف من غرفة مكتبه؟.. رابعاً: ما معنى وجود نظارة طبية في حقيبة يد «شارلوت آدامز»؟.. خامساً: لماذا اتصل شخص مجهول تليفونياً بالليدي «أدجوير» أثناء وجودها في حفلة عشاء السير «مونتاج» في تشيزويك، ثم قطع الحديث بمجرد سماعه صوتها..

ـ نعم.. هذه هي الأسئلة الخمسة كما أذكرها..

ـ «هاستنج».. إنني أعتقد أن لدي فكرة ما عن ذلك الشخص المجهول الذي أغرى «شارلوت» بانتحال شخصية الليدي «أدجوير».. وأنا أعرف الآن الإجابة عن ثلاثة من الأسئلة.. وهذه الإجابات تتفق مع الفكرة التي تخامرني. أما السؤالان الآخران، فإنني لا أعرف الإجابة عنهما حتى الآن..

وبعد برهة صمت، عاد يقول:

ـ وهذا يعني إما أن أكون مخطئاً في فكرتي عن ذلك الشخص، أي لا يمكن أن

يكون هو. . وإما أن تكون الإجابة عن هذين السؤالين اللذين عجزت عن إجابتهما، واضحة تماماً، ولكنني لا أعرفهما. .

ونهض إلى مكتبه، وتناول من أحد الأدراج رسالة «شارلوت» إلى أختها «لوسي»، وراح يعيد فحصها، وكان قد استأذن المفتش «جاب» في الاحتفاظ بها يومين أو ثلاثة. ومرت لحظات طويلة. .

ولعل النوم غلبني على أمري، لأني لم ألبث أن فوجئت بـ (بوارو) يهتف بي في اهتياج شديد:

ـ «هاستنج». . «هاستنج». .



الفصل الرابع والعشرون

بوارو يسأل

قال (بوارو) وهو يتناول من جيبه نظارة طبية، ويقلبها بين يديه:

ـ هلم بنا..

ـ إلى أين؟..

ـ إلى الآنسة «كارول» السكرتيرة السابقة للورد «أدجوير»..

ـ أهي لا تزال مقيمة بالقصر؟..

ـ نعم. عرفت أن الآنسة «جيرالدين» استبقتها لتكون بمثابة وصيفة لها..

ـ وماذا؟..

ـ أريد أن أعرف هل هذه النظارة الطبية التي وجدت في حقيبة يد «شارلوت آدامز» خاصة بها أم لا..!

ولكن الزيارة أثبتت أن النظارة الطبية لا تخص الآنسة «كارول».. ذلك أن (بوارو) قام بحركة بارعة ـ بعد أن ألقي عليها أسئلة كثيرة بلا هدف ـ وجعلها تضع النظارة التي كانت معه على عينيها لتقيس نظرها عليها؟ ولما ثبت أنها لا تخصها، شكرها، وانصرفنا من القصر..

وقلت له ونحن في الطريق:

ـ هل كانت أسئلتك لها عن باريس ذات هدف معين؟

ـ لا.. ولكن يكفي أننا عرفنا أن اللورد «أدجوير» كان في باريس في أواخر تشرين الثاني، ثم عاد إليها في أوائل كانون الأول.. ولكنني أعتقد أن هذه المعلومات لها فائدة..

ـ وما رأيك في قولها أن الدوق «ميرتون» كان ينوي أن يتزوج «جيرالدين» لولا أنه وقع في غرام «جين ويلكنسون» فجأة؟

ـ لا تنس أنها قالت أيضاً إن «جيرالدين» تحب ابن عمها «رونالد مارش» وإن ابن عمها يبادلها بعض هذا الحب. .

ـ ولكن. . ما الذي جعلك تعتقد أو تظن أن هذه النظارة الطبية تخص الآنسة «كارول»؟

ـ لأنها الوحيدة التي تستعمل النظارات الطبية في هذا المجال. .

ـ ولكنها أكدت أن هذه النظارة ليست لها. .

ـ هكذا قالت. . وأعتقد أنها صادقة. والآن يجب أن أفكر. . إن هذه النظارة الطبية هي العقدة الوحيدة التي لا أجد لها حلاً. .

وأعتقد أن المشي سوف يساعدني على التفكير. . !

واجتزنا في طريقنا داراً سينمائية، كانت تعرض فيلماً من الأفلام التي يقوم ببطولتها «بريان مارتن». . وكان طبيعياً أن نسمع بعض تعليقات المتفرجين عند انصرافهم، ولكن (بوارو) لم يكن منصتاً إلى شيء من هذا لاستغراقه في التفكير العميق. . وفجأة قال:

ـ يا إلهي. . هل تذكر يا «هاستنج»؟. .

ـ أذكر ماذا؟. .

ـ تذكر قول «روس» عن المدعوين الثلاثة عشر في حفلة عشاء السير «مونتاج» وعن كونه أول من نهض عن المائدة؟!. .

فقلت مندهشاً:

ـ إن هذه مصادفة عجيبة. . أجل مصادفة عجيبة فعلاً. .

وفجأة ضحك (بوارو) فلما سألته عما يضحكه، قال:

ـ لا شيء. . إنني تذكرت فقط «لغزاً» سمعته منذ وقت قريب، ولسوف أقوله لك: ما هو الطائر الذي له ساقان وريش وينبح كالكلب؟

فقلت بلا اهتمام:

ـ لديك طبعاً. . إنه لغز قديم. .

ـ ولكن الديك لا ينبح كالكلب!. .

ـ إن ذكر النباح في اللغز هو الذي جعله يبدو صعباً. .

ـ آه.. إذن فقد اعتاد البعض أن يذكروا شيئاً لمجرد التمويه فقط

وفي تلك اللحظة طرق اسماعنا أحد المتفرجين الخارجين من دار العرض السينمائي يقول لزميلته:

ـ إن القصة تافهة، وكان ينبغي أن يعرضوها على «الليس».. أولاً..

ولم أسمع بقية الحديث، لأنني رأيت (بوارو) يتسمر في مكانه بوسط الشارع حتى كادت أكثر من سيارة أن تدهمه لولا أن بادرت ودفعت به بعيداً..

ـ وقلت له منفعلاً:

ـ ما هذا؟.. هل تريد أن تنتحر؟

ـ آه.. ما أغباني.. لقد عرفت الآن كل شيء.. وما أبسط ما عرفت..؟!

وما كدنا نعود إلى البيت، حتى اتصل (بوارو) تليفونياً بفندق «سافوي» وقال لعاملة التليفون:

ـ هل الليدي «أدجوير» موجودة؟..

فقلت له هامساً:

ـ ألم تعلم أنها مشغولة بمسرحية جديدة..؟

فأومأ لي برأسه، بينما قال رداً على حديث عاملة التليفون:

ـ حسناً.. هل أستطيع أن أتحدث مع وصيفتها الآنسة «الليسي»؟

ولما حولت العاملة الخط إلى جناح الليدي «أدجوير» قال (بوارو):

ـ الآنسة «الليس»؟ إنني (بوارو).. «هيركيول بوارو» أتذكرينني؟

ـ حسناً.. لقد حدث شيء هام، وأريد أن أتحدث معك بشأنه.. فهل يمكن أن تأتي إلي حالاً؟

ـ نعم... هام جداً.. سوف أذكر لك العنوان..

ولما ذكر لها عنوان مسكننا ووضع المسماع، قلت له:

ـ ما هو هذا الشيء الهام يا (بوارو)؟!

ـ لا شيء.. إنني أريد أن أعرف منها شيئاً هاماً..

ـ عن «جين ويلكنسون»؟!

ـ لا . . لقد عرفت عن «جين» كل شيء . . انتظر وسوف ترى . .

وبعد عشر دقائق، وصلت الوصيفة الآنسة «الليس» بجسمها الضئيل وملابسها الأنيقة السوداء . . واستقبلها (بوارو) مرحباً، ثم قال بعد أن جلست :

ـ هل أنت في خدمة الليدي «أدجوير» منذ مدة طويلة يا آنسة «الليس»؟

ـ منذ ثلاثة أعوام يا سيدي . .

ـ وهل تعرفين السيد «بريان مارتن»؟ . . الممثل السينمائي!

ـ نعم، طبعاً! . .

ـ معرفة وثيقة؟!

ـ نعم . .

ـ وهل تعرفين أن السيد «بريان مارتن» كان منذ عام تقريباً غارقاً إلى أذنيه في حب الليدي «أدجوير»؟

ـ ولا يزال يا سيدي . .

ـ وكان يعتقد في ذلك الحين أنها ستتزوجه؟! .

ـ نعم يا سيدي . .

ـ وهل كانت تفكر جدياً في الزواج به؟ . .

ـ نعم . . لو أنها نالت الطلاق يومذاك من اللورد «أدجوير» لتزوجته . .

ـ ولكن الدوق «ميرتون» لم يلبث أن ظهر في حياتها؟! . .

ـ نعم . . كان يقوم برحلة في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد نشأ الحب بينه وبين سيدتي من أول نظرة!

ـ وكان طبيعياً أن تفضل الزواج به على الزواج بالسيد «مارتن» . . !

ـ نعم . . فرغم أن السيد «مارتن» جمع ثروة طائلة، إلا أن مركز الدوق الاجتماعي لا يبارى! وسيدتي من النوع الطموح جداً . .

ـ وكيف كان موقف السيد «مارتن» من هذا الانقلاب؟!

ـ كان غاضباً جداً . . بل لقد هددها بالمسدس ذات مرة . . ولشد ما كنت أفزع من المشاجرات التي قامت بينهما . . وأخيراً أدمن الشراب، وبدأت أعصابه في الانهيار . .

ـ ولكنه هدأ في النهاية. . ؟!

ـ هذا ما يبدو. . ولكنني أشعر أنه لا يزال يأمل في أن تعود إليه. .

ـ هل يعني هذا أنه يتردد عليها كثيراً؟!. .

ـ لقد امتنع هذه الأيام عن زيارتها، وأرجو أن يكون قد أحب فتاة أخرى. .

ـ ربما

وكان في صوت (بوارو) ـ وهو ينطق الكلمة الأخيرة ـ ما جعل الوصيفة تقول له في خوف :

ـ هل حياة سيدتي في خطر يا سيد (بوارو)؟

ـ نعم. . أنها معرضة لخطر كبير، ولكنها هي التي جلبت هذا الخطر على نفسها. . !

وفي تلك اللحظة، اصطدمت يد (بوارو) بوعاء الزهور الموضوع على رف المدفأة، فسقط فوق ملابس الآنسة «الليس» وبلل جانباً منها. . وبدا لي (بوارو) شديد الاضطراب وهو يسرع بإحضار منشفة، ثم وهو يجفف وجه الآنسة «الليس» وعنقها، وأخيراً أعطاها جنيهاً كاملاً، وصحبها إلى الباب، وهو يبالغ في شكرها، ثم قال لها :

ـ لا شك أنك ستعودين قبل أن تحضر الليدي «أدجوير» من المسرح. .

ـ نعم، لا سيما وقد ذكرت أنها ستتناول العشاء في الخارج. . والمعتاد ألا أجلس في انتظارها إلا إذا طلبت مني هذا. .

وعندئذ قال (بوارو) بسرعة :

ـ ولكنك تعرجين قليلاً يا آنسة «الليس»؟!

ـ آه. . إنه الروماتيزم. .

فوصف لها (بوارو) أقراصاً مسكنة جديدة، ثم تركها تنصرف. .

وقلت لـ (بوارو) بعد انصرافها :

ـ ترى. . ماذا أفدت من زيارتها؟. .

ـ الشيء الكثير. . لسوف أدعو «جاب» للحضور غداً صباحاً، كما سأدعو في هذا الوقت نفسه السيد «بريان مارتن» لأرد إليه الدين. . وأعتقد أنني

سأظفر منه بالشيء الكثير..

- هل تعتقد أنه.. أنه القاتل؟.. إن هذا غير معقول؟.. أيقتل اللورد «أدجوير» لكي يفسح الطريق أمام زواج «جين» من الدوق؟

- يا لك من عبقري يا «هاستنج»؟

- لا داعي للسخرية والتهكم يا (بوارو).. ثم ما هذا الذي بين يديك؟!

- إنها نظارة الآنسة «الليس» الطبية..

غير معقول.. لقد كانت تضع على عينيها نظارتها عندما انصرفت؟!.

فابتسم وقال:

- كانت عند انصرافها تضع النظارة الأخرى.. النظارة التي وجدناها في حقيبة «شارلوت آدامز».. وهذا يعني أن الآنسة «الليس» كان لديها نظارتان للنظر من طراز واحد..



الفصل الخامس والعشرون

بوارو يتكلم

وكان «بريان مارتن» أول من حضر في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي، ثم جاءت بعده الآنسة «جيني درايفر» صاحبة محل القبعات، بناء على دعوة (بوارو) لها. . ولما جلسا، قال لهما (بوارو) :

ـ لسوف يأتي المفتش «جاب» بعد لحظات. .

فقال السيد «بريان» في دهشة :

ـ المفتش «جاب»؟!. .

ـ نعم. . لقد طلبت منه الحضور. .

وصمت «بريان مارتن» وكان يبدو عند حضوره في أحسن حال من الصحة والثبات والسرور. . ولكنه ما كاد يسمع حديث (بوارو) حتى بدا عليه الاضطراب، وحتى راح يتبادل مع «جيني» النظرات المختلسة. .

وأقبل المفتش «جاب» في الموعد المحدد، وارتسمت الدهشة على وجهه حين رأى السيد «مارتن» والآنسة «درايفر» جالسين معنا، إلا أنه حيانا جميعاً بهدوء، ثم قال :

ـ حسناً يا سيد (بوارو)!. . ماذا وراءك؟. . لا بد أنك اكتشفت أمراً خطيراً!.

ـ لا. . لا. . المسألة أبسط مما تظن. . وكل ما أريد أن أفعله، هو أن أبدأ الحديث عن سلسلة الجرائم منذ البداية. .

فتنهد المفتش قائلاً :

ـ وأرجو أن تفرغ من حديثك قبل ساعة، لأني على موعد هام. .

ـ اطمئن. . والآن. . إنك تريد أن تعرف من الذي قتل اللورد «أدجوير» ومن الذي قتل «شارلوت آدامز» ومن الذي قتل الشاب «دونالد روس». . ؟!

فقال «جاب» بحذر :

ـ يهمني جداً أن أعرف مرتكب الجريمة الأخيرة!

ـ حسناً! . . أنصت إلي وسوف تعرف كل شيء. . لسوف أذكر لك الآن كيف خدعت في أول الأمر، وكيف أضاءت لي الطريق عبارة قالها إنسان ما في الشارع. . والآن سأبدأ منذ اللحظة التي تناولنا فيها العشاء في جناح الليدي «أدجوير» بفندق سافوي. . لقد طلبت مني «جين» عندئذ أن أعمل للحصول على إذن طلاقها من اللورد. . وقالت إنها على استعداد في النهاية للذهاب إليه في سيارة مأجورة والقضاء عليه بنفسها. وقد سمع هذه الكلمات السيد «بريان مارتن» عندما دخل الجناح في تلك اللحظة. . أليس كذلك يا سيد «مارتن» ؟! . .

ـ نعم. . هذا ما حدث! . . لقد سمع هذه الكلمات جميع الموجودين. . السيد والسيدة «ويدبيرن» و «شارلوت» والجميع.

ـ تماماً. . وفي الصباح التالي زارني السيد «مارتن» وحاول أن يذكرني بهذه الكلمات ويؤكد معناها في ذهني. .

فهتف «بريان» قائلاً :

ـ لا . . ليس لهذا حضرت إليك. .

ـ آه. . نعم. . نعم. . لقد حضرت لتقص علي قصة خيالية عن مطاردة رجل ذي سن ذهبية لك، ولكنني لم أصدق حرفاً منها، لأن تركيب الأسنان الذهبية أصبح تقليداً بالياً. . ولأنه ليس من المعقول أن يطارد شخص له سن ذهبية ـ تكتشفه دائماً ـ شخصاً آخر. . ولهذا أدركت أنك نسجت هذه القصة لتبرر بها حضورك. . أما الهدف الحقيقي من زيارتك فكان رغبتك في تسميم أفكاري عن «جين ويلكنسون» أو على الأصح، لكي تنسج حبل المشنقة حول عنقها عندما يقتل زوجها!

فقال «بريان» بوجه ممتقع جداً :

ـ إنني لا أفهم ماذا تريد أن تقول! . .

ـ لقد سخرت من فكرة قبول زوجها أو احتمال موافقته على الطلاق، وكنت تظن أنني سأقابله في اليوم التالي، ولم تعلم أن الموعد تغير وأنني قابلته فعلاً قبل زيارتك لي، وعلمت منه أنه موافق على الطلاق. . وعلى هذا لم يعد هناك أي مبرر يدفع

«جين» إلى قتل زوجها . . وأكثر من هذا قال لي إنه أرسل إلى زوجته خطاباً يعلمها فيه برغبته في منحها الطلاق . . ولكن «جين» تؤكد أنها لم تستلم هذا الخطاب وهذا يعني أنها أما أن تكون كاذبة وإما أن شخصاً ما أخفى هذا الخطاب عنها . . فمن هو ذلك الشخص؟! . . والآن، فإني أسأل نفسي : لماذا شق السيد «بريان» على نفسه وجاء ليقص علي هذه الأكاذيب؟ . . ما هو الهدف الخفي من وراء تصرفاته هذه؟ . . وأجبت عن هذا السؤال بأنه كان يحب «جين» بجنون . . مما يؤيد صدق حدسي أن اللورد «أدجوير» سمع أن زوجته سوف تتزوج ممثلاً سينمائياً، فإذا افترضنا أن «جين» غيرت رأيها عندما كتبت اللورد «ادجوير» خطابه إليها، فمن المعقول أن تخفي يا سيد «بريان» هذا الخطاب حتى لا تتحرر «جين» من اللورد وتتزوج رجلاً غيرك . .

ـ إنني لم أفكر يوماً . .

ـ انتظر قليلاً . . لسوف أدعك تقول كل ما تريد أن تقوله. حسناً . . لقد ساءك جداً أن تنقلب «جين» عليك وتحب شخصاً آخر بعد أن اعتدت أن تعبث بقلوب النساء بوجه عام . . ولهذا استبدت بك الرغبة للانتقام منها، ولو بشنقها!

فهتف «جاب» قائلاً :

ـ يا للسماء! . .

ـ نعم . . هذا ما خطر لي ـ أنا «هيركيول بوارو» ـ في أول الأمر. وكانت الأدلة على هذا كثيرة، منها إنه كان لـ «شارلوت آدامز» صديقان : الكابتن «رونالد مارش» والسيد «بريان مارتن» وكان المرجح أن يكون السيد «مارتن» ـ الموفور الثراء ـ هو الذي أغرى «شارلوت» بانتحال شخصية «جين ويلكنسون» مقابل عشرة آلاف دولار، لأنه لم يكن من المعقول أن تصدق «شارلوت» أن في مقدور «رونالد مارش» أن يدفع لها مثيل هذا المبلغ الضخم وهي تعرف أنه مفلس دائماً . .

فقال «بريان مارتن» بصوت متحشرج :

ـ إنني لم أفعل هذا . . وأقسم على ذلك!

ـ وعندما عرفنا مضمون الرسالة التي أرسلتها «شارلوت» إلى أختها، انهارت الأدلة التي ظننت أنها ستوصلني إلى المجرم الحقيقي. ولكنني لم ألبث بعد أن حصلت على

أصل الرسالة، أن اكتشفت شيئاً خطيراً. . اكتشفت أن هناك ورقة مفقودة من الخطاب الأصلي، ورقة منتزعة من ورقة مزدوجة في الأصل. . ومن ثم خطر لي أن كلمة «هو» «He» قد لا تكون عائدة إلى «رونالد مارش». . وهناك دليل آخر، لقد ذكر الكابتن «مارش» أنه رأى في ليلة الحادث شخصاً يشبه السيد «مارتن» يدخل قصر اللورد! . . ومثل هذا القول لن يكون له وزن ما دام صادراً من رجل متهم. . وبطبيعة الحال كان «بريان مارتن» حريصاً على إثبات وجوده بعيداً عن مسرح الجريمة في تلك الليلة. وليس لدينا غير شاهد واحد على هذا الإثبات، وهي الآنسة «جيني درايفر»!

فقالت «جيني» بحدة:

ـ ولماذا تشك في شهادتي؟!

ـ لأنك حاولت في ذلك اليوم ـ ونحن في المطعم ـ أن توهميني بأن «شارلوت آدامز» تحب الكابتن «مارش» لا السيد «مارتن». فهتف «مارتن» قائلاً:

ـ إنها لم تكن تحبني على الإطلاق. .

ـ لعلك لم تكن شاعراً بحبها لك. . ولكنها كانت تحبك فعلاً، لأن هذا يفسر أموراً كثيرة. . إنه يفسر حقدها على «جين ويلكنسون» بعد أن حدثتها عما لقيت من آلام وعذاب على يديها. .

ـ إنني أعترف أنني تحدثت مع «شارلوت» عن هذا. . لأني كنت محتاجاً إلى التخفيف عن نفسي بالحديث مع أي إنسان عطوف.

ـ نعم. . وكانت هي الإنسانة العطوف. وماذا حدث بعد؟. . لقد تم القبض على الكابتن «مارش» اللورد الجديد، وابتهجت أنت. . وشعرت أنك أصبحت في مأمن تام. . ولكنك فزعت حين سمعت الشاب «دونالد روس» في حفلة غداء السيدة والسيد «ويدبيرن» يتحدث مع الكابتن «هاستنج» عن رغبته في مقابلتي لأمر هام. .

فهتف «بريان مارتن» وقال والعرق يتفصد من جبينه:

ـ هذا كذب. . كذب. . إنني لم أسمع شيئاً من حديث «روس» مع الكابتن «هاستنج».

وعندئذ حدثت أكبر مفاجأة لنا في ذلك الصباح عندما قال (بوارو) بهدوء:

ـ نعم.. إنك صادق يا سيد «مارتن».. ولعلي الآن قد عاقبتك على جرأتك في الحضور إلى «هيركيول بوارو» ومحاولة خداعه بقصة مزعومة عن رجل له سن ذهبية.

وحملقنا جميعاً بدهشة في (بوارو) الذي استطرد يقول بصوت حالم:

ـ أترون؟.. إنني أكشف لكم جميعاً عن أخطائي.. لقد سألت نفسي خمسة أسئلة، يعرفها «هاستنج».. ورأيت أن الإجابة عن ثلاثة منها معقولة جداً.. من الذي أخفى خطاب اللورد إلى زوجته؟.. الواضح أنه «بريان مارتن».. وما الذي جعل اللورد «أدجوير» يغير رأيه فجأة بشأن طلاق زوجته؟.. إما لأنه أراد أن يتزوج مرة أخرى، ولم يكن ثمة دليل على هذا الاحتمال.. وإما أن شخصياً ما هدده بإثارة فضيحة مدوية إذا لم يقبل الموافقة على الطلاق وأعتقد أن هذا هو ما حدث، لأن اللورد رأى الموافقة على الطلاق، خير من فضيحة تؤثر على مركزه الاجتماعي. وهذا بدوره يفسر سمات الغضب والحقد التي ترتسم على وجهه كلما ظن أن أحداً لا يراه.. لأنه وافق على الطلاق مكرهاً. ويبقى بعد ذلك سؤالان: الأول عن النظارة الطبية التي وجدت في حقيبة يد الآنسة «شارلوت آدامز» وهي لا تخصها، والثاني لماذا اتصل شخص مجهول بالليدي «أدجوير» أثناء وجودها في حفلة السير «مونتاج» ليطمئن على وجودها بالحفلة؟.. وعبثاً حاولت أن أجد علاقة للسيد «بريان مارتن» بهذين السؤالين.

وصمت (بوارو) برهة قبل أن يستطرد قائلاً:

ـ وعلى هذا قررت أنني إما أن أكون مخطئاً بشأن السيد «بريان مارتن» أو في إجاباتي الاستنتاجية على الأسئلة.. وفي خلال حيرتي، عدت أفحص رسالة «شارلوت» إلى أختها بإمعان حتى اكتشفت أخطر شيء.. انظروا بأنفسكم.. إن الشخص المجهول الذي انتزع الورقة المفقودة حرص على أن ينتزع من الورقة التالية عليها جزءاً صغيراً من الطرف الأعلى.. الجزء الذي يحمل الحرف «S» وبذلك أصبحت الكلمة الأولى في الورقة التالية «He» بدلاً من «She» «هو بدلاً من هي».. ومعنى هذا أن الشخص المجهول الذي أغرى «شارلوت» بانتحال شخصية «جين» كان امرأة لا رجلاً. ولما اطمأننت إلى صدق استنتاجي، وضعت أمامي قائمة بأسماء السيدات اللاتي لهن علاقة مباشرة بالأحداث التي وقعت. فعدا

«جين ويلكنسون» هناك «جيرالدين مارش» والآنسة «كارول» والآنسة «درايفر» والدوقة «ميرتون». .

وهنا قالت الآنسة «درايفر» :

ـ وماذا وجدت عني؟

ـ لا شيء أكثر من أن لك من قوة الأعصاب، وحدة الطبع، ما يجعلك قادرة على ارتكاب جريمة كهذه!

ـ حسناً. . استمر في حديثك يا سيد (بوارو). .

ـ ولكنني في الواقع لم أجد بين هؤلاء السيدات الأربع من يهمها إلى حد كبير جداً وفاة اللورد «أدجوير» فضلاً عن ارتكاب جريمة قتل؟. . إن الآنسة «كارول» كان في استطاعتها أن تترك خدمة اللورد إذا أرادت دون أن تلوث يديها بدمائه، و«جيرالدين مارش» ليست بالفتاة التي تقتل أباها حتى لو قالت إنها تخافه وتكرهه. . ووفاة اللورد ليست إطلاقاً في مصلحة الدوقة «ميرتون». .

وهنا قال «جاب» مقاطعاً :

ـ ولكنك لم تحدثنا عن شهادة الكابتن «مارش» بشأن رؤيته للسيد «بريان مارتن» وهو يدخل قصر اللورد؟!

ـ إن الكابتن «مارش» لم يكن متأكداً هل دخل الرجل الشبيه بالسيد «مارتن» باب قصر اللورد أو الباب المجاور له. وأكبر الظن أن الذي دخل قصر اللورد في تلك اللحظة هو التشريفاتي الشاب. . ولعلكم تذكرون أنه قريب الشبه من السيد «مارتن». .

ـ وما دور هذا الشاب في الجريمة؟!

ـ أكبر الظن أنه اكتشف مقتل اللورد قبل وصول الكابتن «مارش» و «جيرالدين» بنصف ساعة تقريباً، وعثر على المكتب بالمظروف الذي يحتوي على المائة جنيه ـ نقداً فرنسياً ـ فقرر أن يسرق المظروف ويسرع بإخفائه عند صديق له، تاركاً أمر الجريمة ليكشف في اليوم التالي. . وكان هو نفسه الذي عاد إلى القصر بعد إخفاء المبلغ وقد حسبه «رونالد مارش» السيد «مارتن». . ولما تبين التشريفاتي الذي كان يعتقد تماماً أن الليدي «أدجوير» هي القاتلة، أنها كانت بعيدة عن مسرح الحادث في تلك الليلة. . لما

تبين هذا في الصباح، ظن أن الاتهام قد يوجه إليه، فقرر الهرب. .

وأومأ المفتش «جاب برأسه، بينما استطرد (بوارو) قائلاً:

ـ ولم يبق أمامي إلا حل مشكلة النظارة الطبية. . وفيما أنا أسير في الطريق مع صديقي «هاستنج» إذا بشخص ما يذكر اسم «الليس» فتذكرت فوراً وصيفة «جين ويلكنسون» وتذكرت أيضاً أنها تستعمل نظارة طبية. . وسرعان ما استدعيتها إلى مسكني، وعرفت منها كل ما كان ينقصني لأثبت بالأدلة القاطعة الاستنتاج الذي كنت قد وصلت إليه في الجرائم كلها.

ـ وما هو هذا الاستنتاج يا سيد (بوارو)؟

ـ إنه قام على هذه الحقائق: النظارة الطبية. . المكالمة التليفونية. . المرأة القصيرة التي استلمت العلبة الذهبية من الجوهري في باريس. . ثم الشموع، والضوء الخافت، والسيدة فان دوزين. . كل شيء. . وعرفت كل شيء. .



الفصل السادس والعشرون

الحقيقة

وتلفت (بوارو) نحونا ثم قال :

ـ والآن يا أصدقائي دعوني أحدثكم بالحقيقة . . حقيقة ما حدث في تلك الليلة :

لقد تركت «شارلوت آدامز» مسكنها في تلك الليلة في السابعة مساء، واستقلت سيارة مأجورة إلى فندق بيكاديللي بالاس . .

ـ ماذا؟! . .

ـ إلى فندق بيكاديللي بالاس . . وكانت قد حجزت في نفس اليوم، وفي هذا الفندق بالذات، غرفة باسم السيدة «فان دوزين» . . وذهبت إلى الفندق واضعة على عينيها نظارة طبية غيرت الكثير من مظهر وجهها . وكما ذكرت كانت قد حجزت غرفة بالفندق قائلة للإدارة إنها ستستقل القطار المسافر إلى ليفربول حيث تركب الباخرة المبحرة إلى أمريكا في نفس الليلة . . وفي الساعة الثامنة والنصف، وصلت ـ كما علمنا ـ الليدي «أدجوير» إلى الفندق وسألت عنها، ثم صعدت مع أحد خدم الفندق إلى غرفتها، وهناك تبادلت كل منهما ملابس الأخرى وتنكرت «شارلوت» في هيئة «جين ويلكنسون» فوضعت على رأسها باروكة الشعر الذهبي المصفف المستعار، وعلى كتفيها المعطف الأرمين الفاخر، وغادرت الفندق لتذهب إلى حفلة السير، «مونتاج كورنر» في تشيزويك . أو بعبارة صريحة كانت «شارلوت آدامز» هي التي ذهبت إلى تلك الحفلة، لا الليدي «أدجوير» . . ولا تعجبوا من هذا، فقد ذهبت بنفسي إلى بيت السير «مونتاج» مساء، ورأيت أنه اعتاد أن يقيم حفلات العشاء في قاعة المائدة على ضوء الشموع . ولم يكن بين المدعوين في تلك الليلة أحد يعرف «جين ويلكنسون» شخصياً . . ولهذا استطاعت أن تخدعهم جميعاً . . وحتى لو اكتشف أحد الأمر، لأمكن القول بأن المسألة لا تخرج عن إحدى دعابات «جين ويلكنسون» بالاتفاق مع «شارلوت آدامز» التي

اعتادت أن تقلد شخصيتها على المسرح. وفي الوقت نفسه غادرت «جين ويلكنسون» ـ الليدي «أدجوير» ـ فندق بيكاديللي بالاس واضعة على عينيها النظارة الطبية، ودفعت حساب إقامتها في الغرفة ذلك اليوم، وحملت حقيبتها إلى سيارة مأجورة وذهبت فوراً إلى محطة بوستون. وهناك، في دورة المياه، نزعت باروكة الشعر الأسود عن رأسها، والنظارة عن عينيها وأودعت الحقيبة في غرفة الأمانات. وقبل أن تذهب إلى قصر زوجها في ريجنت جيت، اتصلت تليفونياً بمنزل السير «مونتاج كورنر» لتطمئن على أن «شارلوت آدامز» تقوم بدورها في الحفلة على خير ما ينبغي. فلما سمعت صوتها، واطمأنت فعلاً، مضت فوراً إلى قصر زوجها حيث سألت التشريفاتي عنه قائلة إنها زوجته الليدي ـ وكانت هي فعلاً ـ لأن الآنسة «كارول» معروفة بدقتها وبراعتها ولا يمكن أن تخدع فيها حتى لو رأتها من الخلف، ومضت الليدي «أدجوير» إلى زوجها في غرفة المكتبة وارتكبت جريمتها. ولم تكن تعرف بطبيعة الحال أن المس «كارول» رأتها في الطابق الأول. ولهذا كانت مطمئنة إلى أن التشريفاتي الشاب لن يستطيع أن يكذب اثني عشر شاهداً. . أي المدعوين في منزل السير «مونتاج». .

وغادرت «جين» القصر بعد ارتكاب الجريمة، وعادت إلى محطة بوستون، وتنكرت مرة أخرى بباروكة الشعر الأسود، وأخذت الحقيبة وقررت أن تنتظر عودة «شارلوت» من حفلة السير «مونتاج» في الموعد المتفق عليه، فذهبت تقضي فترة الانتظار في مطعم كورناهاوس، وأخذت تنظر في ساعة يدها بين الحين والآخر، ثم بدأت تعد الخطة لارتكاب جريمتها الثانية. . فوضعت العلبة الذهبية ـ التي طلبتها من جوهري في باريس ـ في حقيبة يد «شارلوت» التي كانت معها طبعاً، ولعلها عندئذ عثرت على الخطاب في حقيبة اليد. . الخطاب المرسل من «شارلوت» إلى أختها «لوسي» والذي نسيت «شارلوت» أن تضعه في صندوق البريد، ولعلها رأت الخطاب قبل ذلك. . في غرفة الفندق في محطة بوستون. . المهم أن العنوان المكتوب أثار فضولها، ففتحت المظروف ورأت الخطر الذي أوشكت أن تواجهه، ولا شك أنها فكرت أولاً في تمزيق الخطاب، ولكنها عادت ورأت أنها لو انتزعت ورقة منه، لبدا الاتهام موجهاً إلى «رونالد مارس» باعتباره صاحب «الدعابة» وباعتبار أن لديه الحافز

القوي للقضاء على عمه اللورد «أدجوير».. ولم يكن عليها إلا أن تنتزع من الورقة الحرف «S» من أول كلمة في الورقة التالية فيبدو أن الضمير راجع إلى «رونالد مارس» وليس إلى أحد آخر. وبعد أن فرغت من هذه المهمة، أعادت الخطاب إلى المظروف، ثم وضعته في الحقيبة.. ولما حان موعد عودة «شارلوت» من الحفلة ـ حسب الاتفاق ـ ذهبت إلى فندق سافوي دون أن تدخله، ولكنها انتظرت حتى رأت السيارة التي تقل «شارلوت آدامز» ـ أو الليدي «أدجوير» كما يظن السائق وغيره ـ تقف أمام باب الفندق، ثم أسرعت بالصعود إلى جناحها دون أن يلحظها أحد، وهناك وصلت في وقت واحد مع«شارلوت» فأعادت كل منهما الملابس إلى الأخرى، ورجعت إلى حقيبتها.. ولا شك أن «جين ويلكنسون» اقترحت أن «جين ويلكنسون» اقترحت أن تشربا نخب نجاح «الدعابة» الكبرى، قائلة إنها سترسل إلى «شارلوت» الشيك بمبلغ عشرة آلاف دولار حسب الاتفاق، ووضعت «جين» مسحوق الفيرونال في كأس «شارلوت»، وقدمت لها العلبة الذهبية كهدية.. أو لعلها وضعتها في حقيبة يد «شارلوت» دون علمها.. المهم أن «شارلوت» عادت إلى مسكنها، وقد بدأ الفيرونال في تخديرها.. وهناك ـ في المسكن، حاولت أن تتصل تليفونياً بشخص ما، لعله «دونالد مارس» أو «بريان مارتن» لأن رقم كل منهما يبدأ بكلمة فكتوريا، ولكن تأثير المخدر جعلها تشعر بالرغبة الشديدة في النوم.. فنامت ولم تستيقظ..

وهكذا نجحت «جين» في ارتكاب الجريمة الثانية..

أما الجريمة الثالثة فتبدأ في حفلة الغداء التي أقامها السيد والسيدة «ويدبيرن».. وهناك ورد ذكر البطل «باريس» في الحديث، وارتكبت «جين» أكبر غلطة في حياتها عندما خلطت بين «باريس» البطل و«باريس» المدينة، مما لفت انتباه الشاب «دونالد روس» الذي كان موجوداً في حفلة الغداء، وفي حفلة عشاء السير «مونتاج».. لقد لاحظ «روس» أن الليدي «جين» في حفلة العشاء كانت تتحدث ببراعة وعلم عن الأساطير الإغريقية، والمعروف أن «شارلوت آدامز» كانت فتاة مثقفة.. فلما رأى «روس» «الليدي أدجوير» تبدو في حفلة الغداء جاهلة حتى باسم البطل الإغريقي «باريس» ندت عنه شهقة وراح ينظر إليها في عجب وفضول، ثم أدرك فجأة أن هذه «الليدي أدجوير» ليست نفس

«الليدي أدجوير» التي رآها في حفلة العشاء، وشعر من ثم الارتباك الشديد. وقرر أن يفضي بشكوكه إلي، ولكنني كنت قد غادرت الحفلة، فطلب من صديقي «هاستنج» أن يحدد موعداً لمقابلتي، فقال له إنني سأكون في المسكن في الساعة الخامسة..

وسمعته الليدي «أدجوير» وأدركت فوراً أن الشاب عرف أنها ليست هي التي كانت في حفلة السير «مونتاج».. ولهذا ذهبت إلى مسكن «روس» قبل الخامسة بقليل، فلما رآها اندهش واستقبلها مرحباً دون أن يخطر بباله الخوف منها.. لأنه لا يعقل أن يخاف شاب قوى من امرأة ـ مهما يكن أمرها ـ ولا ندري الآن ماذا فعلت معه، أو قالت له، فلعلها ذكرت له قصة مزعومة، ولعلها ركعت أمامه ليخفي سرها.. ولعلها طوقته بذراعيها ثم أغمدت المبراة الحادة بسرعة خاطفة، أسفل الرأس من الخلف، كما فعلت في ارتكاب جريمتها الأولى..

❁ ❁ ❁

ولما فرغ (بوارو) من حديثه، خيم علينا الصمت فترة وجيزة.. وأخيراً قال المفتش «جاب»:

هل تعني أن «جين ويلكنسون» ـ الليدي «الليدي أدجوير» ـ هي القاتلة؟

ـ نعم..

ـ ولكن لماذا ترتكب كل هذه الجرائم ما دام زوجها قد أعرب عن استعداده لمنحها الطلاق؟!..

ـ لأن الدوق «ميرتون» من أعمدة المذهب الكاثوليكي في إنجلترا.. وهو لهذا السبب لا يفكر إطلاقاً في الزواج من امرأة مطلقة لا يزال زوجها على قيد الحياة.. ولكن الأمر يختلف إذا كانت هذه المرأة أرملة. والمعروف أن الدوق الشاب متعصب لمذهبه، ولا شك أنها تحدثت معه في هذا الشأن وأيقنت أنه لن يتزوجها حتى لو طلقها زوجها.. وهذا يعني أن زواجها من الدوق لن يتم ـ في رأيها ـ إلا إذا أصبحت أرملة..

ـ ولكن لماذا أرسلتك إلى زوجها اللورد لتقنعه بالطلاق ما دام الأمر كما تقول؟

ـ ذراً للرماد في العيون.. ولكي تجعل مني شاهداً على أن اللورد موافق على طلاقها ـ أي لم يعد هناك حافز لديها إلى قتله ـ نعم.. لقد خدعتني هذه الشيطانة التي

تتظاهر بالغباء، وهي شعلة من الذكاء والقدرة على التمثيل. نعم.. لقد أحسنت تمثيل دور المندهشة حين قلت لها إن زوجها أرسل إليها خطاباً يعرب فيه عن استعداده لمنحها الطلاق.. تظاهرت بالدهشة بينما كانت تعلم هذه الحقيقة وتخفيها عن الجميع. والآن هل يعتقد أحد أنها تشعر بالندم على ارتكابها هذه الجرائم، إنني مستعد لأن أقسم أنها لا تشعر الآن إلا بالابتهاج لنجاحها في تنفيذ خططها وفي قرب تحقيق أملها بالزواج من الدوق..!

وصاح «بريان مارتن» :

ـ ألم أقل لك هذا يا سيد (بوارو)؟.. ألم أقل لك إنها امرأة لاتتردد في ارتكاب مجموعة من الجرائم لتزيل أية عقبة تعترض طريق حياتها!.. لقد كنت أعرف أنها سوف تقتل زوجها.. كنت أشعر بهذا. وكنت أخشى أن تنجو من العقوبة بعد أن ترتكب جريمتها. إنها بارعة.. أبرع من الشيطان نفسه. والآن.. لشد ما أتمنى أن أراها وهي تتعذب!! أن أرى حبل المشنقة يلتف حول عنقها.. أن..

واختفت الكلمات في فم الممثل الشاب، فقالت له «جيني» :

ـ كفى.. كفي.. يا «بريان»..

وقال «جاب» :

ـ والعلبة الذهبية التي كلفت أحد جوهري باريس بصنعها؟!..

ـ لقد كلفته كتابة.. وأرسلت «الليس» لاستلامها. ولم تكن «الليس» تعرف، إلا أنها تستلم طرداً صغيراً بعد أن دفعت الثمن. وكذلك استعارت الليدي «أدجوير» نظارة طبية من وصيفتها ـ بلا علم منها ـ لتتنكر في دور السيدة «فان دوزين» عند خروجها من فندق بيكاديلي بالاس. وقد نسيت هذه النظارة في حقيبة يد «شارلوت».

وكانت تلك غلطتها الأولى. آه.. هل يصدق أحد أن كل هذه السلسلة من الأفكار المنطقية انبثقت في ذهني عندما سمعت شخصاً عابراً يذكر اسم «الليس» فأتذكر أن وصيفة الليدي «أدجوير» تضع على عينيها نظارة طبية، وأن «الليس» هي المرأة القصيرة، ذات النظارة الطبية التي استلمت العلبة الذهبية من الجوهري في باريس..

ـ وأداة القتل؟!

ـ مبراة من النوع الذي تستعمله الوصيفات عادة في فتح الخطابات.. ولا شك أن «جين» أخذت واحدة منها من مكتب وصيفتها ثم شحذتها جيداً..

وبعد برهة، قال «جاب»:

ـ هل أنت جاد فيما تقول يا سيد (بوارو)؟

ـ نعم..

وهنا قال «بريان مارتن»:

ـ إذن لماذا استدعيتني وأفزعتني في أول الأمر؟!..

ـ لأعاقبك على محاولتك خداعي ـ أنا «هير كيول بوارو» ـ بتلك القصة المزعومة عن الرجل ذي السن الذهبية..!

وضحكت «جيني درايفر» طويلاً، وقالت لـ «بريان مارتن»:

ـ إنك تستحق هذا العقاب..!

ثم أردفت قائلة:

ـ إنني سعيدة بثبوت براءة «رونالد مارش» لأنه شاب لطيف كريم.. وكذلك سعيدة لأن دماء «شارلوت» لن تذهب سدى. أما عن «بريان مارتن» فسوف أعرف كيف أحميه من مزالق الغانيات من أمثال «جين ويلكنسون».. نعم.. سوف أتزوجه.. أليس كذلك يا «بريان»؟

فلما أومأ «بريان» برأسه، قال (بوارو) باسماً:

ـ ليكن الله في عونه!..

❀ ❀ ❀

بعد يوم أو يومين سافرت فجأة ـ ولأشغال خاصة ـ إلى الأرجنتين. وهكذا لم أر «جين ويلكنسون» بعد ذلك، وإنما قرأت تفاصيل محاكمتها في الصحف. والعجيب أنها انهارت فجأة عندما واجهها المدعي العام بالحقيقة، ولم تلبث أن اعترفت بكل شيء..

وأنا هنا أنشر الرسالة التي كتبتها في السجن، وطلبت أن تسلم إلى السيد (بوارو)

بعد تنفيذ حكم الإعدام عليها. . وهذه هي الرسالة :

عزيزي السيد (بوارو) :

لقد رأيت، بعد أن فكرت طويلاً، أن أكتب إليك، ولست أدري لماذا. . وربما لأني أريد أن تنشرها على الرأي العام، كما اعتدت أن تفعل في جميع القضايا التي توليت أمرها من قبل. . وربما لأني أريد أن يعرف كل إنسان الحقيقة التي دفعتني إلى ارتكاب هذه الجرائم، إنني مازلت أعتقد أنني دبرت هذه الجرائم بذكاء نادر ليس له مثيل، ولولا ذكاؤك أنت لما استطاع أحد أن يكشف الحقيقة إلى الأبد. .

لقد بدأ الأمر كله في أمريكا عندما تعرفت بالدوق «ميرتون». . ورأيت منذ اللحظة الأولى أنني لو كنت أرملة لأمكنني الزواج من الدوق، ولأصبحت إحدى السيدات النبيلات في المجتمع الإنجليزي. . وقد حاولت جهدي لأقنع الدوق بقبول زواجي بعد الطلاق، ولكنه أصر على الرفض قائلاً إن مذهبه الديني يمنعه من الزواج بسيدة مطلقة لا يزال زوجها على قيد الحياة. وهكذا قررت أن أعمل على إزالة زوجي اللورد من طريق حياتي. ولكنني لم أكن أعرف كيف يمكنني أن أفعل هذا في إنجلترا. . إذ لو كان الأمر في أمريكا، لسهل علي الخلاص منه على يد أحد رجال العصابات. وظللت أفكر في طريقة للخلاص، حتى رأيت «شارلوت آدامز» وهي تقلدني على المسرح تقليداً مذهلاً. . وعندئذ عرفت الطريق إلى الخلاص. . عرفت أنني إذا استعنت بمواهب «شارلوت» أمكنني أن أظفر بالدليل المادي الأكيد على وجودي في مكان بعيد عن مسرح الجريمة عندما أقوم بارتكابها. وفي تلك الليلة نفسها رأيتك في مطعم فندق سافوي. ومن ثم خطر ببالي أن أكلفك بالذهاب إلى زوجي لتقنعه بمنحي الطلاق. . وفي الوقت نفسه أخذت أتحدث عن رغبتي في قتل زوجي، لأني كنت أعرف أن الإنسان إذا تحدث عن ارتكاب جريمة بمثل هذه الحماقة، فإن أحداً لن يصدق أنه ارتكبها فعلاً عندما تحدث. وكنت قد لاحظت أيضاً أن خير ما يفعله الإنسان مع الناس هو أن يخفي ذكاءه الحاد، ويتظاهر بالغباء أحياناً حتى يظفر منهم بكل ما يريد. وأخيراً فاتحت «شارلوت» في الموضوع، وعرضت عليها عشرة آلاف دولار إذا هي استطاعت أن تخدع المدعوين في حفلة السير «مونتاج»

وتنتحل شخصيتي أمامهم طوال الحفلة دون أن يفطن أحد إلى الحقيقة.. ووقعت الفتاة في الفخ لشدة حبها للمال. ولم يخطر ببالها طبعاً أن وراء هذا العرض «جريمة».

هكذا تم الأمر بعد أن استعرت نظارة «الليس» الطبية، وبعد أن اتفقنا على أن نتبادل الملابس في فندق بيكاديللي بالاس الذي حجزت فيه غرفة باسم السيدة «فان دوزين».. وبطبيعة الحال كنت أنوي أن أتخلص من «شارلوت» بمجرد نجاحي في الخلاص من زوجي.. والسبب معروف بداهة، ولهذا كلفت جوهرياً بصنع علبة ذهبية ـ كان قد صنع مثلها لي من قبل ـ ولكنني طلبت أن يجعل الحرفين الأولين من اسمها على الغطاء الخارجي، أما الأحرف والكلمات المكتوبة في الداخل، فقد تعمدت أن أجعلها للتضليل فقط. والغرض من هذا هو أن أقدمها لشارلوت مليئة بمسحوق الفيرونال حتى تبدو أمام الجميع ـ بعد وفاتها ـ أنها تدمن استعمال هذا المنوم.. وكان هذا التدبير كله قد تم قبل أن أفاتح «شارلوت» في الأمر ببضعة أيام..

وسار كل شيء على ما يرام في تلك الليلة، وأخذت مبراة من مكتب «الليس» عندما رأيت أنها حادة كالموسى ومدببة الطرف كالخنجر. وكان أحد الجراحين في أمريكا قد أخبرني ـ في مناسبة ما ـ عن مكان مجمع الأعصاب أسفل الجزء الخلفي من الرأس، فطلبت منه أن يدربني على طريقة إغماد آلة حادة في هذا المكان ـ بسرعة وبراعة ـ زاعمة له إن دوري في أحد الأفلام يستلزم أن أفعل هذا مع شخص يحاول أن يغتصبني ـ في الفيلم طبعاً ـ ولكنني لم أكن أتوقع أبداً أن تكتب «شارلوت» إلى أختها بتفاصيل «الدعابة» رغم تأكيدي عليها بجعل الأمر سراً حتى تنجح فيها.. ولا شك أنها كانت براعة ممتازة مني حين عرفت كيف أجعل الاتهام يتركز على «رونالد مارش» بانتزاع ورقة واحدة من الخطاب مع الحرف من أول كلمة في الورقة التالية.. إن الشيطان نفسه ما كان ليستطيع أن ينتهز فرصة كهذه لتحقيق أغراضه..!

ولما تم كل شيء بنجاح حسب الخطة التي وضعتها، غمرتني سعادة طاغية.. وأيقنت أنني أصبحت في مأمن من كل اتهام، وأن طريقي في الحياة أصبح مفروشاً بالورود.. وأذكر لك أنني لم أشعر بأية لدغة من الندم، بل على العكس، أحسست أنني إنسانة ممتازة من حقها أن تنال نصيبها من الحياة كاملاً ولو على حساب الغير..!

ولكن الأقدار كانت في خلال هذا كله تضحك مني. . ورأيت ضحكتها الساخرة على وجه ذلك الشاب الأحمق «رونالد روس». . رأيت على وجهه نظرات الشك والحيرة حين أخذ ينظر إلى بعد «سقطتي» الحمقاء التي تسببت من خلطتي بين ذلك المدعو «باريس» البطل الإغريقي، وبين مدينة باريس. والواقع أنني لم أكن أعلم أن هناك إنساناً يدعى «باريس». . وما أسخفه من اسم يطلق على مخلوق بشري حتى لو كان بطلاً إغريقياً!!

ولم يكن اهتمامي إلا أن أسرع بالتخلص من «روس» عندما رأيته يتحدث مع صديقك «هاستنج» في اضطراب شديد. . كان علي أن أفعل هذا حتى لا أخسر كل شيء في آخر الأمر. ولكنني خسرت كل شيء رغم كل ما بذلت من مجهود، ورغم كل ما وضعت من خطط. إنني أنتظر مصيري باطمئنان، لأنني أؤمن بأن الحياة لا يمكن أن تحتمل ما لم يحقق الإنسان أهدافه فيها. . فإذا فشل، فعليه أن يتحمل نتائج فشله دون تذمر أو شكوى. . وختاماً أرجو لك حظاً سعيداً، وأؤكد لك أنني غير نادمة، وغير حاقدة عليك. .»

المخلصة

جين ويلكنسون

تمت



روائع القصص العالمية

صدر منها

الأرض الطيبة
سوف تشرق الشمس
رجال ونساء وحب
عدالة السماء
غادة طيبة
ذهب مع الريح ١/ ٢
جزيرة الأحلام
عذراء وثلاثة رجال
الشيخ و البحر
جريمة في الريفيرا
السجين الهارب
وادي الرعب
جريمة على الشاطئ
آنا كارنينا
الشاهدة الوحيدة
الشقراء البريئة
قتيل في المسترو
ساعة الصفر
الجريمة الكاملة
غادة الكاميليا
أحدب نوتردام
الفرسان الثلاثة ١/ ٢
البؤساء
إعلان عن جريمة
الجوهرة الخضراء
الخيط الدموي
الكونت دي مونت كريستو
دافيد كوبرفيلد
الام فيرتر
الكاس الأخيرة
ايفانهو (الفارس الأسود)
الرجل الغامض
جزيرة الكنز
الجريمة المزدوجة
جزيرة الموت
سر اللؤلؤة
القاتل الـ
مصرع الـ
مرتفعات وذرينغ





بيروت - لبنان
تلفاكس : 00961 1 791668
ص.ب : 11/6918 - الرمز البريدي 11072230
سوريا - حلب
هاتف : 2211620 - 2211621 - 2211622
فاكس : 2211623 21 00963 ص.ب : 415
www.afach.aleppodir.com
E-mail : afach1@scs-net.org